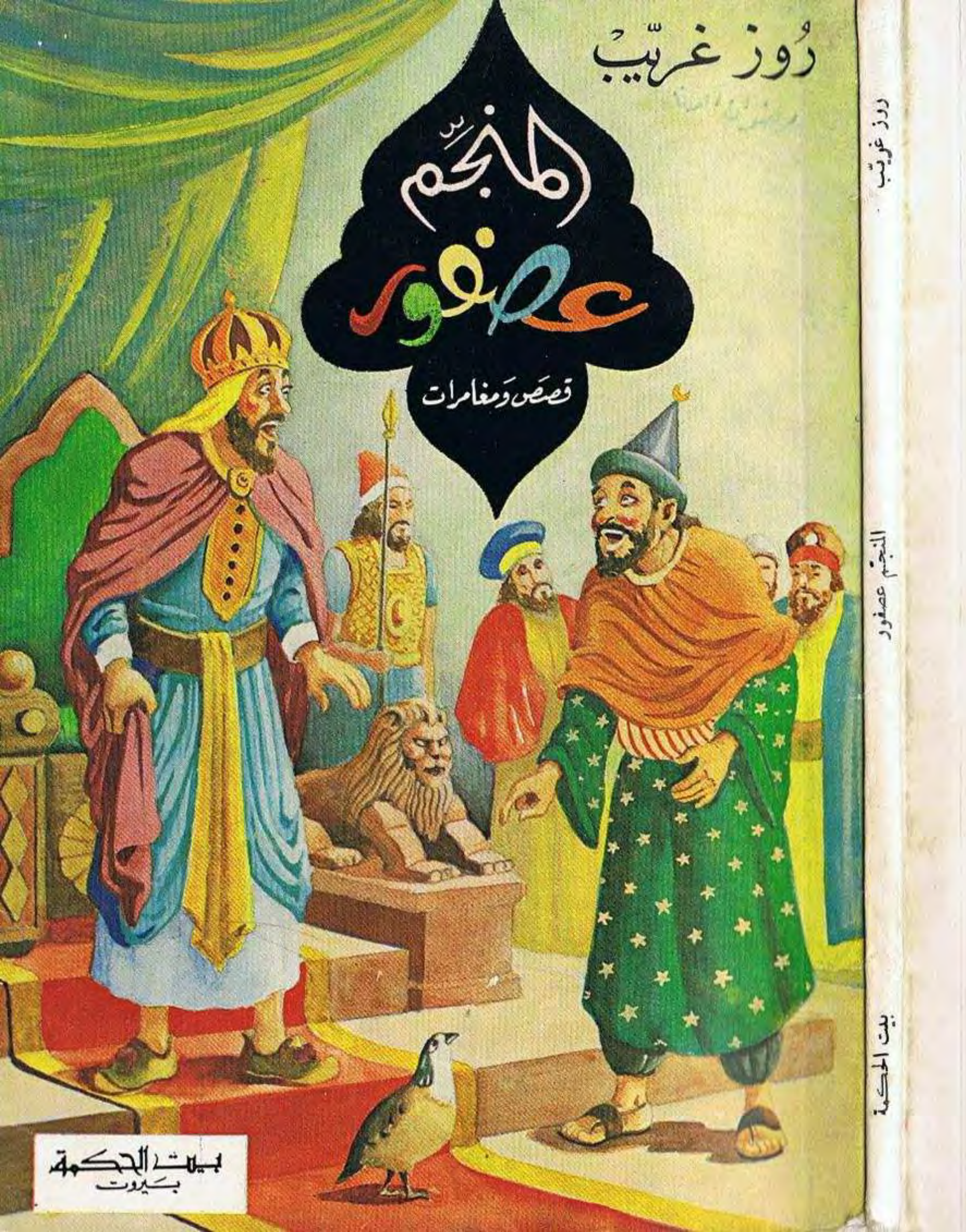


روز غريّب

المنجّم عصفور

بيت الحكمة

منشوراتنا القصصية

يصدرها: بيت الحكمة - بيروت

١	يا بياع السمسمية	لجوزفين وانطوان مسعود
٢	ابو الخيمة الزرقاء	لجوزفين وانطوان مسعود
٣	حدثني يا ابي	لكامل العبد الله
٤	اسرى الغابة	لانطوان مسعود
٥	ملح ودموع	لانطوان مسعود
٦	يوم عاد ابي	لرشاد دارغوث
٧	صندوق أم محفوظ	لروز غريّب
٨	جدتي	لجبران مسعود
٩	عنب تشرين	لادوار البستاني
١٠	عازفة الكمان	لصموئيل عبد الشهيد
١١	وكان مازن ينادي	لتوما الخوري
١٢	كانت هناك امرأة	لرشاد دارغوث
١٣	يوم غضبت صور	لنضال ابي حبيب
١٤	بابا مبروك	لرشاد دارغوث
١٥	الانامل السحرية	لجوزفين مسعود
١٦	المغني الكبير	لروز غريّب
١٧	جلجامش	لتوما الخوري
١٨	نور النهار	لروز غريّب
١٩	النسر الكريم	لانطوان مسعود
٢٠	رنين الخناجر	لجوزفين مسعود
٢١	النجمتان	لروز غريّب
٢٢	ابن العروس	لجوزفين مسعود
٢٣	جزيرة الوهم	لاملي نصر الله
٢٤	الغرفة السرية	لصموئيل عبد الشهيد
٢٥	النار الخفية	لروز غريّب
٢٦	الحاج بحبح	لرشاد دارغوث
٢٧	جوهرة الجواهر	لجوزفين مسعود
٢٨	دهليز الغرائب	لفكتور حكيم
٢٩	التجاريب	لولي الدين يكن
٣٠	الصحائف السود	لولي الدين يكن
٣١	سلسلة من حكايات بيدبا	(٦ كتب للاطفال)
٣٢	كوب من العصير	لجوزفين مسعود
٣٣	المنجّم « عصفور »	لروز غريّب

الثمن ٣٠٠ ق.ل.

روز غريّب

المنجِّم عُصفور

قصص ومُغامرات

بيت الحكمة
بيروت

الغلاف والرسوم بريشة « رضوان الشّهال »

الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، نيسان (ابريل) ١٩٧٥

تَضحيَةُ « أليسَار »

كان الفجر ينثرُ أُولى خيوطِه الذهبيَّةِ على سلسلة « لبنان » الجنوبيّةِ ، حين أفاقت « أليسار » من نومها مذعورةً . أدارت فيما حولَها عينَين زائغتَين ، متسائلةً : أُحلماً كان الذي رأته ، أم حقيقةً ؟

رأت في النوم قصرَها يَميدُ بأعمدته الرُّخاميَّةِ كأنّ صاعقةً انقضَّت عليه . أَلجناحُ الذي تُقيم فيه مع زوجها ، الكاهنِ « أسرباس » ، مهدَّمُ الجدرانِ ، مبعثرُ الأثاث والتُّحَف . « أسرباس » مطروحٌ على الأرض جثَّةً هامدة . وتمثال « هيرَقليس » ، إلٰهِ المدينة ، مُشيحٌ بوجهه عن القصر وسُكّانِه ، غيرُ

مكترثٍ لما يجري فيه من دمار ، وما يُراق من دماء .

نهضَت من سريرها . وقبل أن تُلقيَ على كتفيها رِداءها الأُرجوانيَّ ، تراءى لها أنّه يَقطُرُ دماً ، فتحسَّسَته لترى هل إنَّ عينَيها قد خدعَتاها ؟

لبِسَتْ نَعْلَيها الذهبيَّة ، وراحت تتفقَّدُ أنحاء القصر . رأت كلَّ شيء هادئاً ، لا أثرَ للمعركة التي شهدَتها في الحُلم . الخدَمُ والجواري يتسلّلون بين الأروِقة والدَّهاليز ، حُفاةَ الأقدامِ ، حذَراً من إيقاظِ النِّيام . خُيِّل لها أنَّ في وجوههم قلَقاً ، وفي نظراتهم شيئاً يكتمونه . تذكّرَت زوجَها « أسِرْباس » الذي أرسله أخوها ، الملِكُ « بغماليون » ، إلى « صيدون » في مهمّة سياسيّة ، وقد مضى على رَحيله أسبوعٌ ولم يَرجِعْ بعدُ . فساورَها الخوفُ ، وخطر لها أن تُقابلَ « بغماليون » لعلّه يقدر على إفادتها بشيء ، وتسكينِ بالِها .

ولكنْ ، مَن يجرؤ على مُخاطبةِ « بغماليون » ؟

حتى زوجتُه « عشتار » أصبحت تخشى لِقاءه . فهو لا يفتأ ناقماً ، صاخباً ، منذ تلك المُظاهرةِ التي شهِدها يومَ اخترق شوارعَ « صور » بمَركَبَته الفَخْمةِ ، وكان « أسرباس » ، كبيرُ وُزرائه ، ورئيسُ الكهنةِ ، جالساً إلى يساره . فتجمَّعت جماهيرُ الشعب على جانبَي الطريق ، وأخذت تهتِفُ للملك وتدعو له بالنَّصر ، في حينَ وجَّهت إلى الكاهن لَعَناتِها وتهديداتِها .

من ذلك الحينِ أخذ « بغماليون » يُشاطر عامَّةَ الشَّعبِ عداءهم للكاهن ، ويتَّهمه ، هو وسائر الكهنة والنُّبلاء ، باختلاس أموال الدولة ، ويُطالبه بتسليمها .

أخذَت تعتريه حالاتٌ من الغَضَب الجنونيِّ ، ولم يستطع إخفاءَ نقمته على « أسرباس » . ولا شكَّ أنّ هذه النقمةَ شمَلَتْ « أليسار » ، زوجةَ الكاهن ، وأُختَ « بغماليون » وشريكتَه في الحُكم بوصيّةٍ من أبيهما ملِكِ « صُور » .

فيما كانت « أليسار » تَـذرع ممرّاتِ القصر على غير هُدًى ، وهي مستسلمةٌ للهَـواجس ، إذا بواحدٍ من الغِـلمـان يُـعلنُ لهـا قدومَ « عبدليم » الكاهنِ لمقابلتها ، فأرسلتْ تطلب منه أن ينتظرَها في القاعة الكُبرى ريثما تستعدُّ لاستقباله .

« عبدليم » صديقُـها الذي تثِـق به هي وزوجها ، ويسترشدان برأيه في المواقف العصيبة . لا شكَّ أنّـه جاءها هذا الصباحَ لأمرٍ خطيرٍ .

ألقت على وجهه نظرةً فاحصةً ، تُحاول أن تخترقَ حِجـاب السَّكينة الذي يلفُّه ، فلم تُجدِ المحاولةُ .

حين تكلَّم كان صوتُه عاليـاً متَّزناً ، ترَك في أذن « أليسار » وقعاً غريباً .

ـ عليكِ أن تكوني قويَّـةً شجاعـة يا صديقتي . إنّي أحمل إليكِ نَبأً مؤلماً .

ـ آه !.. هل أُصيب « أسرباس » بسوء ؟

ـ نعم ...

ـ أَمَيْتٌ هو ؟!

ـ نعم ، واأسفاه !

ترنَّحت « أليسار » وزاغ بصرها ، وكادت تَهوي إلى الأرض . فقال الكاهن وهو يبادر لإسعافها :

ـ تذكَّري أنّـك بنتُ « بيلوس » وسَليلةُ العُظَـماء ، فلا يَليق بك الضّعفُ والتَّخاذُلُ .

ـ صَدَقْتَ !

كما بلمسةٍ سحريّة ، عاد إليها هدوؤها وشُموُخها ، فرفعت رأسَها بكِبْرٍ وقالت :

ـ سأكون شجاعةً . قُل لي ماذا حدث ، وكيف لقي « أسرباس » مَصْرَعه ؟

ـ إنقلبت به المركبةُ . مات تحت العَجلات .

ـ كيف جرى هذا ؟ لماذا انقلبتِ المركبة ؟ ألم يكن وراءها يدٌ أثيمة ؟

سادَ الصمتُ برهــةً بين الاثنين ، وهاجمتهما أفكارٌ لم يجسرا على البَوح بهـا . ثم تكلّمت « أليسار » :

ـ كنت أتوقَّع هذا ، وأتخيَّلُه في اليقظــة وفي الُحلم . آه ! يبدو لي أنّ الحياةَ في هذه المدينة أصبحت مستحيلة . . . منذ حــين تراودني فكرةٌ سأحدّثك بها قريباً . . .

ـ أعرف مـا يجول في رأسك . وأظنّه عينَ الصَّوابِ .

★

مصرعُ « أسرباس » هزَّ الصُّوريّين ، لا سيّما الكهنة والوجهاء والتجّار الذين كانوا يؤيّدونــه . زعموا أنّ الملك قَتَله ليُزعزعَ موقفَهم ، ويزرعَ الخوفَ والضعف في نفوسهم .

ولم يمضِ زمنٌ حتى اندلعت نارُ الفِتنــة ، وانقسم السكّانُ فريقَين : واحــداً يُناصر

« بغماليون » ، والآخرَ يسانــد « أليسار » والكهنةَ وغيرَهم من الزعمــاء وأهلِ النُّفوذ . ولمّا رأت « أليسار » انحيازَ أكثريّــة الشعب إلى جانب « بغماليون » ، وانخذالَ حزب الكهنـة ، استدعت إليها الكاهنَ « عبدليم » ، وأسرَّت إليه أنّها تُعِـدُّ العُدَّة للرَّحيل عن « صور » ، ومعها جماعةٌ من أصدقاء زوجها وأنصارِه .

ـ إنّي أوجسُ شرًّا من الغد ، قالت « أليسار » . وأشعر أنّ المصير الذي لقيــه « أسرباس » هو الذي ينتظرني . فلا بدَّ من تعجيل الرّحلة . وأريد أن تعاونَني على تدبيرهــا ، وأن يبقى الأمرُ سرّاً لديك .

ـ هل أفضيتِ بعزمك إلى « بغماليون» ؟

ـ لا ! ولكنّه يريد الاستيلاءَ على أموال «أسرباس» ، ووعدتُ بإرسالها إلى قصره مع سائر الأمتعــة التي أملِكها ، لأنّي أبلغتُه رغبتي في الإقامة عندَه بعد الذي حدث . وفي خلال ذلك نُهيّىء الرحلة ، ونركب

البحر ليلاً من غير أن يشعرَ بنا أحدٌ .

في اليوم التالي ، كانت العجلاتُ التي تجرُّها الثّيرانُ تنقل أمتعة « أليسار » وثروةَ زوجها إلى قصر « بغماليون » . لكنّ الأكياسَ التي حملت الثروةَ كانت قد مُلئت رَمْلاً ، وغُطّي أعلاها بالذّهب . لأنّ « أليسار » أمرت الخدمَ أن ينقلوا الذهبَ الذي امتلأت به خزائنُ زوجها ويُلقوه في قعر البحر . أرادت بهذا التّدبيرِ أن تُكَفّرَ عن أخطاء زوجها بتضحية المال الذي أدّى الى مصرعه ، وتُطعِمَ البحرَ كنوزاً حملَتْها السفنُ التي شقّت مياهَه ، ذَهاباً وإياباً ، بين الشرق والغرب .

★

في غُضونِ أيّام قليلةٍ كانت السفينة الفينيقيّة الكُبرى ، ذاتُ الشّراع والثمانين مِجْذافاً ، تَشُقُّ البحرَ متّجهةً نحو الغرب ، وهي تحمل ثمانين بطلاً على رأسهم « أليسار » .

عرّجوا في طريقهم على « قبرص » فاختاروا من عَذارى « فينوس » ، أو « أفروديت » ، ثمانين عَروساً للأبطال الثمانين ، وحملوهنّ إلى السفينة . وفي « قبرص » انضمّ إليهم كاهنُ « جوبيتر » وأسرتُه ، ثم استأنفوا المسيرَ حتى بلغوا سواحل « ليبيا » و« تونس » في شمالي « افريقيا » ، حيث كان الفينيقيّون قد أقاموا مستعمرةً تُدعى « أوتيكا » .

نزَلت « أليسار » في الساحل ، ودعت رجالها إلى النُّزول مع نسائهم . فهرع سكّان تلك الأرضِ للقاء القادمين الجُدُد ، وكان أولئك السكّانُ خليطاً من البشر : فمنهم الزنوجُ ، والبربرُ ، وطوائفُ من الفينيقيّين واليونانيّين الذين جاءوا مستعمِرين . وكان يحكمهم زعيمٌ يونانيُّ الأصل ، افريقيُّ المَلامحِ والمِزاج ، يدعى « هيارباس » . وقف هذا الرُجل مبهوتاً أمام النُّزَلاء الجُدُد ، مُعْجَباً بجمال ملابسهم ونُبلِ حركاتهم . ولمّا انقضى وقتُ العَجب ، تقدّم نحو المَلِكة مستفسِراً عن حاجتها ، فقالت :

ـ نحن من «صُور» ، أمِّ المدائـــن وعروسِ «المتوسّط». جئنا نطلب الإقامةَ في هذه السواحل لنجدِّدَ عهدنا مع البحر ، فنبنيَ السُّفُنَ ونُطلقَها للتجارة ، ونعمِّرَ الأرض ونقيم فيهـــا مدينةً مزدهرة تنشر حولَها الحضارةَ والعمران .

ـ لكنّ الأرضَ لنا، أجاب «هيارباس» . ولا تتّسعُ لفاتحين جدُد .

ـ لسنا فاتحين، قالت «أليسار» ، بل رُسُلُ عِلمٍ ونور ومدنيَّة . ولا نبغي التوسُّعَ ، بل تكفينا رقعةٌ من الأرض لا تزيد مساحتُها على جِلد ثور .

ـ جِلد ثور ؟! قال الملك هازئاً . إذا كان يكفيكم مساحةُ جِلْد ثور ، فلا أرى بأساً من نزولكم .

حملَت « أليسار» جلدَ ثورٍ ، وقطّعته قِطعــاً صغيرةً نشرتها على مسافات متباعدة ، حتى غطّت من الأرض مساحةً تكفي لبناء مدينة !

أُعجِب « هياربـاس » بحيلة الملِكةِ التي برهنَت

عن ذكاء . فسكت عن الاحتجاج . وشرعت « أليسار » في بناء مدينتها التي أطلقت عليها اسم « قرطاجة » ، أي « القرية الحديثة » ، أو « المدينة الحديثة » . وفي خلال بضع سنوات أصبحت هذه المدينةُ ، بفضل موقعهـــا التجاريّ ، وجهودِ الملكة والسكّان ، مرفأً عظيمَ الأهميّة، ينافس «صور» و «صيدا» في القوّة والازدهار. فتدفّقت عليها الأموالُ ، واستقدم أهلُها من الشرق البنّائين والصُّنّاعَ ليَبنُوا لهم الهياكلَ والقصور الشامخة ، تمتدُّ بينها الشوارعُ الطويلة الواسعة التي ترتفع عن جانبَيها الأعمدةُ والسقوف .

وصارت « قرطاجة » مَقصَدَ التجّار ، وملجأ الغُرَباء ، والمُرْتَزقَــةِ ، والمسافرين الذين ضلّوا طريقهم ، فوجدوا في المدينة بيوتَ ضيافة ، منهـــا منزلٌ خاصٌّ بكبار الضيوف يلقَون فيه الإكرامَ والرّعايـــة . وفي هـذا المنزل استقبلت « أليسار » الأميرَ « إينِياس » الطروادي الذي ساح في الأرض بعد

خراب مدينته « طروادة » ، حاملاً أباه العاجزَ على كتفَيه . فعطفت الملِكة عليهما وبذلَت لهما من مظاهرِ التكريم ما يليق بالملوك .

إلاّ أنّ وثبةَ « قرطاجة » وصعودَها المدهِشَ لفتَا أنظار جارها الافريقيّ « هيارباس » . فأكل قلبَه الحسدُ ، وسعى لتدبير المَكائد وبَذْر الشّقاق والفتنة بين صفوف القرطاجيّين .

أخذ يُطلِق إشاعاتٍ وأراجيفَ ترمي إلى الحطّ من كرامة الملِكة التي التفّ حولَها الشعبُ ، ورأى فيها رمزاً لوحدة الوطن ورفعتِه . بثّ الجواسيسَ والعُمَلاء الذين أشاعوا أنّ الملِكة تُنفق الأموالَ جزافاً ، وتبذّرُها تبذيراً على مَلَذّاتها . وأنّها تبذل الثرواتِ الطائلة لمقرّبيها ، ولكلٍّ مَن لَقِيَ حُظوةً في عينيها ، ومنهم « اينياس » الطرواديُّ الذي أسكنته قصراً ، وأغدقت عليه الأموالَ ، واتّخذَته صديقاً حميماً وسيّداً مُطاعاً .

أصابت مَزاعمُ « هيارباس » وعملائه نجاحاً كبيراً.

وانقاد لهم أولئك الغُرَباءُ الذين استوطنوا « قرطاجة » رغبةً في التجارة والإثراء السريع . وحين دانت لهم الثروةُ طمعوا في السلطة ، واستبدّت بهم شهوةُ الحكم . فاتّفقوا مع عملاء « هيارباس » على استمالة العُمّال وصغار الناس ، واستغلالِهم لإشعال الفتنة وتقويضِ دولة « أليسار » .

شعرت « أليسار » بالخطر المُحدِق ، ورأت رياحَ التفكُّك والانقسامِ تعصف بمدينتها . رأت خصومَها يزدادون قوّةً وعدداً ، يحشدون جيشاً من المرتزقة ويُعدّون العدّة لتفجير الحرب الأهليّة ، والفتكِ بها وبمؤيّديها .

وتبيّن لها بعدئذٍ أنّ أعوانَها وأصدقاءها أنفسَهم أخذوا يتناقلون الإشاعاتِ التي روّجها أعداؤها . وعرفت أنّ كثيرين منهم أخذوا يَنفضّون عنها ويلتحقون بالخوَنَةِ المُفسدين .

فهالها الأمرُ ، وزحف الوَهَنُ إلى عزائمها . تذكّرت حُلمَها في « صور » ، والمأساة التي ذهب

ضحيّتَها « أسرباس » وأمواله ، واضطرّتها إلى الهرب .

والآن هوذا شبحُ مأساة أخرى ينتصب أمامها ! شبحٌ مخيف يبرزُ عاتياً ، مهدّداً ، فأيّة ضحيّةَ أعدّت له ؟ ...

لا ! لن تلجأ إلى الهرب هذه المرّةَ ! ولن تغادرَ هذه المدينةَ الحبيبة التي بيديها خطّت حدودَها ، وبحبّات قلبها شيّدت أركانَها ورفعت بنيانها .

وفي غمرة حزنها خطر لها أن تدعوَ الكهنَة ، والقادةَ ، وسائرَ رجال الدولة ، لتمتحنَ إخلاصهم ، وتكشفَ عمّا يُضمِرون .

سوف تُطلِق نداءها عالياً . تدعوهم إلى التكاتُف لإنقاذ « قرطاجة » وقهرِ العدوّ الذي يتربّص بها .

في معبد « تَعْنيت » ، إلهةِ « قرطاجة » ، حيث يرتفع تمثالُ الإلَهةِ المهيمِنةِ على مقدّرات القرطاجيّين ، وقفَت « أليسار » تخطب في الجماعة التي احتشدت للقائها .

ذكّرتهم عظمةَ أجدادِهم الذين بنَوا « صُور » ورفعوا ذِكْرَها . ذكّرتهم هربها تحت جُنح الليل ، وجهادَها لبناء « صور » جديدة تنافس في قوّتها وعظمتها سائرَ مُدن البحار . ناشدَتْهم بأن لا يهدموا بأيديهم مجداً شيّدوه بعَرق جباههم وقوّةِ سواعدهم . أعلنت أنّ التُّهَم التي وُجِّهت إليها مَحْضُ تزويرٍ وافتراء ، وأنّ حياتها كانت سلسلة تضحيات في سبيل « قرطاجة » . حذّرتهم من ألسنة الشرّ ، ومن دُعاة الفتنة الذين يفرحون بانهيار مدينتهم ويرقصون طرَباً على أشلائها .

وجد كلامُها سبيلاً إلى قلوب الحاضرين ، فأصغَوا بملء جوارحهم . وما أتمّت خطابها حتى رفعوا أيديهم يحيّونها . لكنّ فريقاً من الخصوم ، الذين اندسّوا بين الحضور ، أخذوا يدمدمون بصوت منخفض ، ثم ارتفعت الدّمدمةُ حتى تحوّلت إلى هدير عالٍ أخذ به الحاضرون ، فهاجوا ، وتحرّكوا مثلَ وحوشٍ تريد الانقضاض .

حينئذٍ وقف بينهم رجلٌ يدعى « سباركوس »، أحدُ عملاء « هيارباس » ، فدعاهم إلى الهدوء . وتقدَّم من « أليسار » بوجهٍ يطفح مَكراً ، وقال :

ـ ألقصرُ الذي شيّدتِه بأموال الشعب صار ماوى لمصالحك الشخصيَّة . أخبار إهمالك ملأت « قرطاجة » وأفسدت جوَّها . أبطرَتْكِ النِّعمةُ ، وأسكرك الفوزُ والغنى ، فدُسْتِ بقدميكِ كلَّ فضيلة . وها هو الفتى الطرواديّ ، الذي استملتِهِ إليك وكرَّمْتِه ، قد اختار الرحيل هرباً من مفاسدك ...

ـ كذِبْتَ ! صرخت « أليسار » مقاطعةً . كلُّ ما قلتهَ هو من نَسْج خيالك . ولا إخال واحداً من الحضور يصدِّق منه حرفاً !

ـ هاتِي بُرهانَكِ ! قال « سباركوس » متهكّماً . هاتي برهانك إن كنتِ صادقةً . هاتي مَن يشهد على براءتك !

ـ تريد شاهداً ؟ تريد برهاناً ؟

وأجالت في الحاضرين عينَين زائغتين ، متوسِّلتَين .

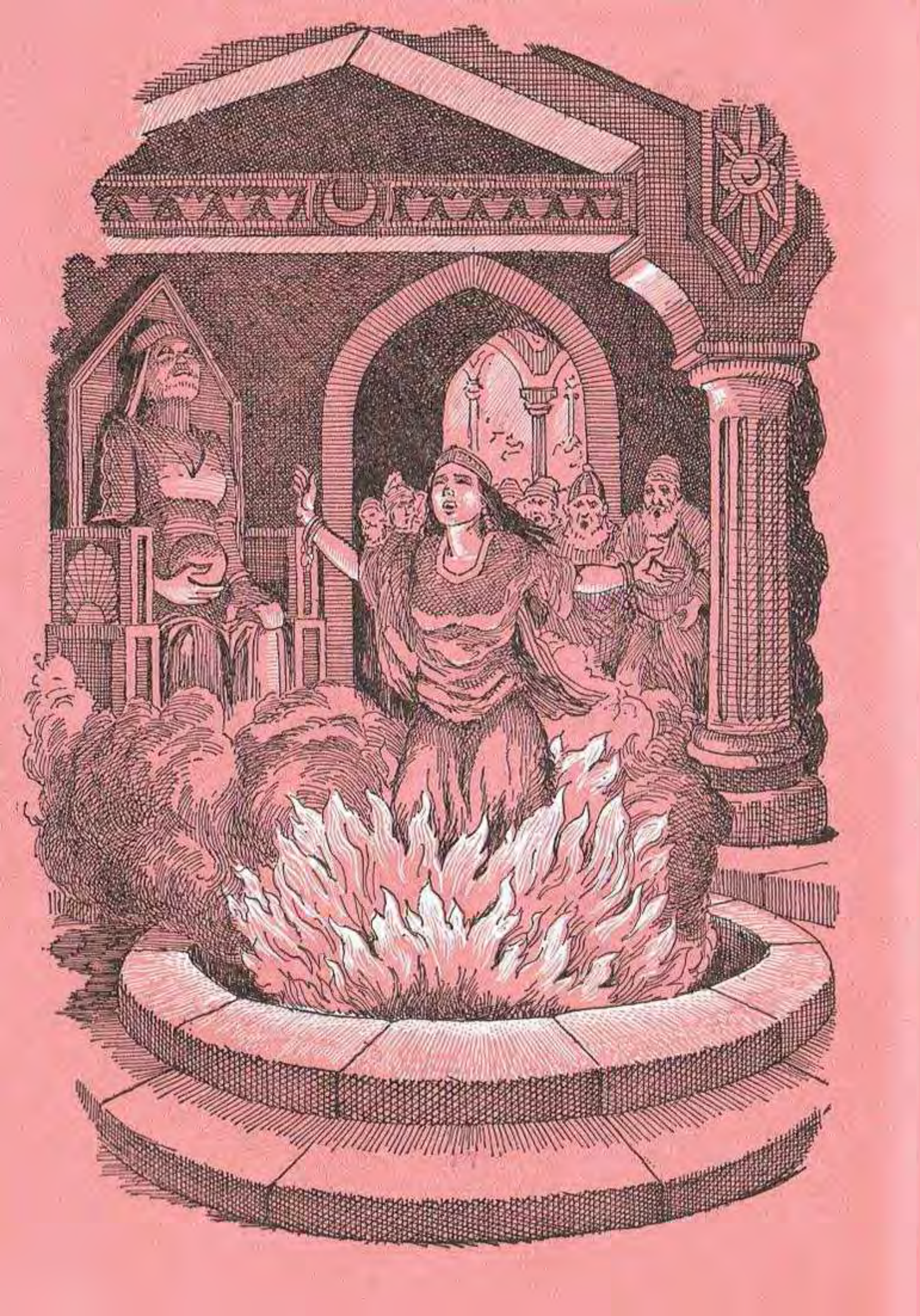
ـ أليس بينهم واحدٌ يردّ على المُفتري ؟ أليس فيهم ذو مروءة يُدافع عنها ، يتحدّى خصومَها ، يُعدِّد مآثرَها وتضحياتِها ، يفضح المؤامرة الدنيئة التي تُحاك لإسقاطها ؟

لم يتحرّك واحدٌ للدفاع . جميعُ أولئك الذين أكلوا خبزها ، وشبعوا من موائدها ، وأفادوا من مَكاسبها ، وقفوا صامتين ، جامدِي النَّظرات ، متحجِّري القلوبِ ، عاجزين عن الكلام .

جحودُهم أصاب قلبها في الصميم . طعَن كرامتها وحطَّم مشاعرها . فانتفضَتْ كالطائر الذَّبيح ، وأنّت أنينَ المحتضَر .

ـ تريد برهاناً ؟... هاكَه !

وفي لحظة من تلك اللّحَظات الخالدة التي يبدو



فيها الموتُ للبطل أُمنيَّة عذبةً ، وخُطوةً مشتهاة، ضمَّت « أليسار » ذراعيها ، وتطاولت كمن يهمُّ بالطيران . ثم ارتمت في أتُّون النار الدَّائمة الاشتعال في معبد « تعنيت » ، والتهمتها ألسنةُ اللَّهب المتراقصةُ التي تُلامِس قدمي إلَهة « قرطاجة » .

سرَت في الحضور هَزَّةُ الخوف والرَّهبة ، وصاح فريقٌ منهم بصوت واحد :

ـ أعطت برهانَها ، وكذَّبت المفتري الغادرَ !

حينئذٍ عاد الايمانُ إلى نفوس المتشكِّكين ، ودبَّت الحماسة في قلوب الجُبَناء المتردِّدين . فهجموا على خصوم « أليسار » الذين توافدوا بكثرةٍ إلى الاجتماع . وفي ساحة المعبد قامت بين الفريقين معركةٌ عنيفة ، تصارعُوا فيها بالأيدي ، وتطاعنوا بالمُدى والخناجر ، وتضاربوا بالسيوف والفؤوس . وأسفرت المعركة عن فوز أبناء « قرطاجة » ، وانهزامِ الذين تآمروا على المدينة وملِكتها ودفعوا « باليسار » إلى الانتحار .

★

لكنّ موت « أليسار » أنقذ المدينة . لأنّه ألقى على أهلها درساً في البطولة ، وفتح عيونهم على مَخاطرِ التّضاغُن والانقساماتِ الداخليّة . فنجحوا في لَمِّ شَعْثِهم ، وتوطيدِ وَحدتِهم ، وكَمِّ أفواه المُفسِدين سُعاةِ الشرّ .

واستأنفت « قرطاجة » سيرها في طريق العظمة والازدهار .

العَهد

مَضارب الأزديّين تحتلّ الأراضي الساحليّة من « تِهامة » ، في شرقيّ « البحر الأحمر » .

كانوا قبيلةً جنوبيّة ، هجروا « اليمن » قبل الهجرة النبويّة ، واستقرّوا من ذلك الحين على الخطّ التجاريّ الواقع بين « اليمن » جنوباً ، و « الحجاز » و « بلاد الشام » شمالاً . وجنَوا من الرحلات التي قام بها رجالُهم ، ومن المبادلات التجاريّة التي عقدوها ، أرباحاً طائلة ، مهّدت لهم سبيلَ النموّ والتّكاثُر في المال والرجال ، فاقتنَوا المواشي والجِيادَ والعبيدَ والإماء . وفي خيامهم المصنوعة من الأقمشة اليمانيّة الفاخرة ، كانوا يستقبلون الضيوفَ والقُصّاد ،

فيذبحون لهم الماشية ، ويبذلون الضيافة السَّمْحة للقريب والغريب ، لاعتقادهم أنّ من واجب الإنسان أن يُعطي ممّا أعطاه الله .

« ألشيخ جاسم بن هلال الأزديّ » ، واحدٌ من أسياد القبيلة المقدَّمين ، جلس يوماً على مقعده المغطّى بالوسائد الليِّنة ، في خيمة فُرشت بالبُسط المزخرفة ، يداعب بن يديه مِسبحةً ذاتَ حُبوبٍ صفراءَ لامعةٍ ، وعلى وجهه علاماتُ القلَق والتفكير .

يفكِّر في ابنه الشابِّ الذي يقود القافلةَ للمرّة الأولى إلى « بلاد الشام » ، وقد مرَّ على رحلته أسبوعان ، ويُنتظَر رجوعُه اليومَ ، بين لحظة وأخرى .

دخل عليه واحدٌ من الغلمان ليسألَه هل يأتيه بطعام الظَّهيرة ، فسأله الشيخُ :

ـ ألم يرجع « خالد » ؟

ـ لا .

ـ ولا أحد من رجاله ؟

ـ لا . ولكنّي راقبت الأفق من رأس التّلّة هناك ، فلاح لي عن بُعدٍ جماعةٌ مُقبلين . لعلّهم رجالنا .

ـ إذهب وراقبْ مرّة أخرى ، وعُدْ إليَّ بالخبر .

ما إنْ خرج الغلام ، حتى سمع الشيخ حِسّ حركة في مدخل الخيمة المُواجِهِ لتلال الرَّمل المجاورة . ثم أطلّ منه شابٌّ يبدو في وجهه الذُّعرُ والاضطرابُ الشديد . فجثا أمام الشيخ ، وقال بصوت مرتعش :

ـ أنقِذني يُنقذْك اللهُ !

ـ مَن أنت أيُّها الرجل ؟ سأله الشيخ وهو يحاول إخفاء اضطرابه .

ـ رجلٌ غريب ، هاربٌ من أعداء يطاردونني ، طالبٌ حمايتَك أيُّها السيّد . فهل تلبِّي دعاء مستجيرٍ ؟ هل تمنحني عهدَك والأمان ؟

- إنّ جاسماً الأزديّ لم يخيِّب يوماً أملَ مستجير، قال الشيخ من غير تردُّد . لك منّي العهدُ والذمّة أيُّها الشابُّ . ما دمتَ في حِمـاي لن يُصيبَك سوءٌ .

- شكراً لك يا سيّدي !..

وَهمَّ بتقبيل يده ، فمنعَه ، وقال :

- إجلسْ هنـا ، وهدِّىء رَوْعَك . سآتيك بشراب مُنعِش .

- أستحلفك بالله أنْ لا تتكلَّفَ أيَّة خدمة . لقد أنعشْتَني بكلامك النبيل ، ورددتَ إليّ روحي. وما دمتَ قد منحتني عهدَك ، فلن أخافَ شيئاً بعدُ .

- حماية الجار أقلُّ ما يُطلب من رجل حر كريم . لم أفعل إلاّ ما يقتضيه الواجب .

- ألزمتَ نفسك أمراً صعباً وعرّضْتَها للخطر. فأنا أسيرُ فضلِك ما حيِيْتُ .

- قُل لي أيُّها الفتى ، ما خَطْبُك ؟ ومَن هم الأعداء الذين يطاردونك ؟

تنهَّد الرجل وقال :

- إنَّ إثمي كبيرٌ يا سيِّدي .

فاضطرب الشيخ وساله :

- ماذا فعلت ؟

- أعندك للسرّ موضِعٌ ؟

- قُل ولا تَخَفْ .

- أنا شابٌّ من «بني عامر بن سُلَيم» . مرّت بنا أعوامٌ شِداد ذُقنا فيها الجوعَ والفاقة . فطلبنا الغزوَ في بقاع الأرض ، وكنّا البارحةَ قد نصبنا كميناً لقافلة تمرّ في وادي السرحان ...

- وادي السرحان ؟ قال الشيخ مقاطعاً .

- نعم ، وكانت القافلة قريبة منّا ، حين فاجأنا في الطليعة شابٌّ كشف مخبانا وأفسد علينا خُطّتنا .

وَهَمَّ بالرجوع ليُنذر أَصحاب القافلة ، فجُنَّ جنوني ، ولحقتُه ، وطعنته في ظهره طعنةً نجلاءَ أردَتْه قتيلاً !

ـ هل عرفتَ الشابَّ من هو ؟

ـ لا والله ! لكنّي رأيت رفقاءه قد تجمّعوا حوله يصيحون ويتوعّدون . وعرفت أنّي صِرتُ طريدتهم . فانتهزتُ فرصة انشغالهم بالقتيل ، وأركنتُ إلى الفِرار . وما لبثتُ حتى رأيتُهم قد اقتربوا منّي ، وهم يجرُون في أثري حاملين قتيلَهم . . .

وفيما الرجل يتكلّم ، إذا به يُنصِت خائفاً ويقول :

ـ أسمع ضجّة في الخارج . إنّي خائف يا سيّدي !

ـ لا تخف ، قال الشيخ . تعالَ اختبىء وراء هذا السِّتر ، وأنت آمِن .

ودفعه إلى ما وراء الستر ، في حين دخل

الخيمةَ الغلامُ وقال :

ـ عاد الرجال من رِحلتهم ، وهم على قيد خُطوات من الحيّ . وقد لاح لي أنّهم يحملون قتيلاً .

ـ قلبي يحدّثني بشرّ مستطير ، قال الشيخ كأنّه يخاطب نفسه .

ثم التفت إلى الغلام وقال :

ـ أسرع لملاقاتهم يا « صفوان » .

وإذا بالرجل الغريب يُطِلّ من وراء السِّتر ليقول :

ـ هل وصل الرجال ؟ إنّي خائف يا سيّدي !

فصاح به « جاسم » :

ـ عُد الى مكانك ! إلزم مخبأك وأنت آمِن !

في هذه اللحظة دخل الخيمةَ أربعةٌ من رجال القافلة ، ووقفوا صامتين ، لا يجسرون على الكلام . فسألهم الشيخ بلهفة :

ـ أين « خالد » ؟ أين ابني ؟

ومرّت ثوانٍ ظنّها الشيخ دهراً ، قبل أن يجيبه واحدٌ منهم :

ـ أصابه سهمُ القَدَر !

ـ ويلاه ! صرخ الأب . كنت أتوقّع ذلك ... ألم يبقَ فيه رجاءٌ ؟

ـ كانت الطعنة قاتلة .

ـ والقاتل ؟ سأل الشيخ .

ـ إختفى في طَرْفة عين . أسرعنا في أثره فلم نعثر عليه .

فأنّ الشيخ متألّماً ، وقال :

ـ إتبعوه ! لماذا تقفون ؟

ـ إختفت آثاره في هذا المكان ، قال أحدهم المدعوّ « روّاحة » . لعلّه مختبىء في موضع قريب . لم يبارح بعدُ هذه الناحية .

نظر « جاسم » إلى السّتر خِلسةً وقال :

ـ لا ملجأ له هنا ! ولا إخاله إلاّ ساعياً ، راكضاً ،

يَضرب في الأرض هرباً وأنتم واقفون .

وقال « ميمون » ، واحدٌ من الاربعة :

ـ رأيته يدخل واحداً من هذه المضارب . دعُونا نقتفي أثره هنا ... في هذا الحيّ .

ـ هل لمحتَ غريباً يدخل الحيّ ؟ سأل الشيخ غلامه .

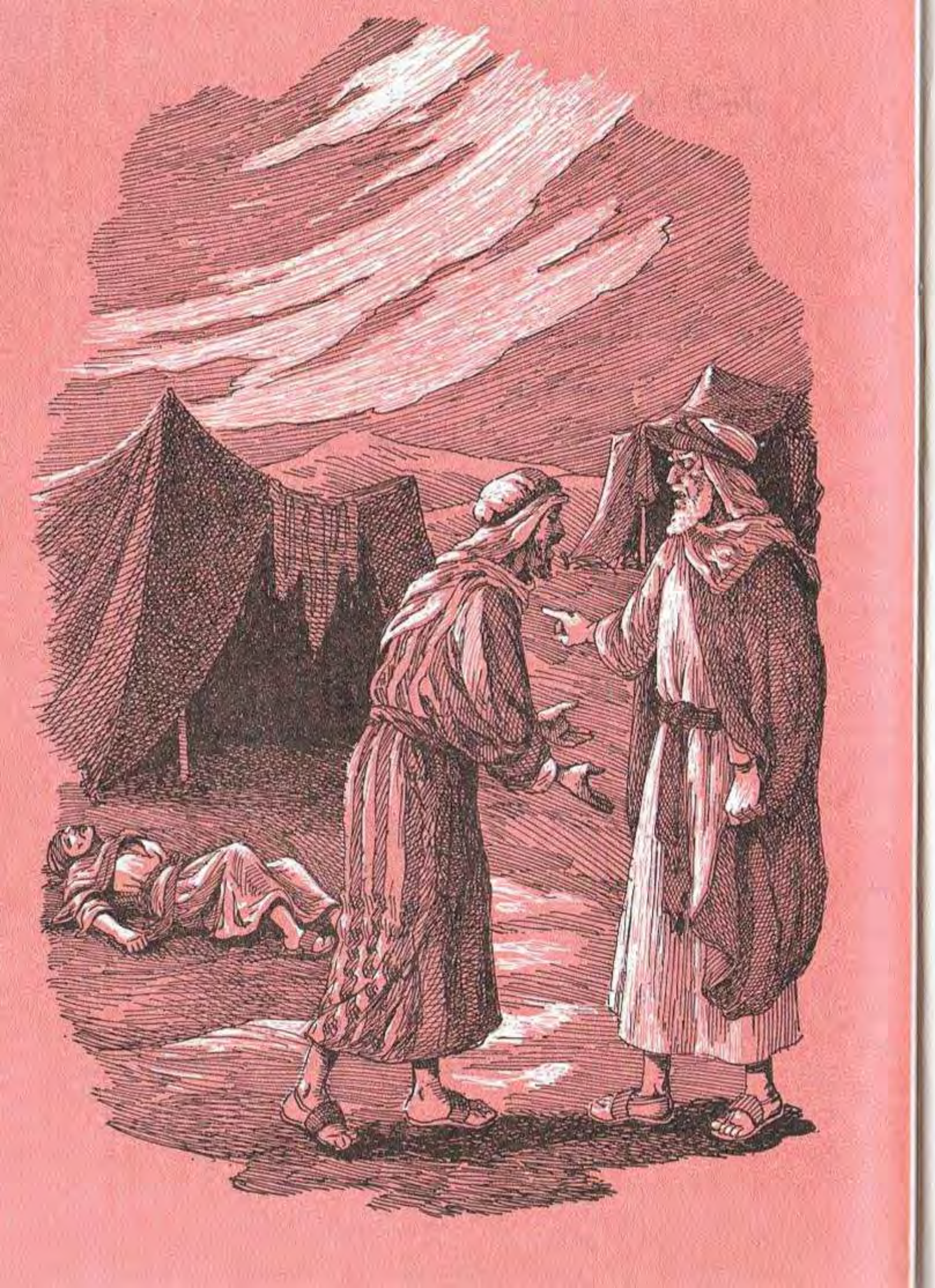
ـ كنت أراقب عودةَ الرجال في مكانٍ آخرَ ، أجاب « صفوان » . فلم أحوّل نظري إلى هنا .

وقال « روّاحة » :

ـ لنبحث عنه هنا . لم تُخطئني عيناي حين رأيته متّجهاً إلى هذه الناحية .

ـ دعوا هذا الأمر لي ! صاح « جاسم » . واذهبوا في سبيلكم ! تفرّقوا في أصقاع الأرض ! أُطلبوه في كلّ وادٍ ومنعطف ! كيف لكم أن تُمسكوه بعد ، وقد مهّدتم له سبيلَ الهرب ؟

فتحرّك الرجال الأربعة للخروج ، وقال « ميمون » :



ـ لنطلبه في طريق وادي الأحقاف ...

ـ سأتعقّبه في منعرجات الكثبان القريبة ، قال « روّاحة » .

ـ سأبحث عنه في بطحاء الدُّمَينة ورمال العَفار ، قال ثالثُهم « ياسر » :

ـ لن يذهبَ دمُ ابنك هدراً ، قال رابعهم « عياض » .

وأضاف « ياسر » و « روّاحة » :

ـ لا تبتئس يا عمّاه ! سوف نتبع القاتل إلى أقاصي الأرض ! ونأتيك برأسه من غير إبطاء !

ـ إذهبوا بأمان الله ، قال « جاسم » .

وما انصرفوا من أمامه حتى تهالك على مقعده ، وفي وجهه علاماتُ الأسى الشديد .

حينئذ خرج الرجلُ الغريب من مخبئه ، وانطرح على قدَمي الشيخ قائلاً :

ـ أُقتلني يا سيّدي ! فأنا قاتلُ ابنِك ...

ـ مَعاذَ الله ان أغدر بك ، قال « جاسم » . قم

وارجعْ في الطريق الذي أتيتَ منه . إنّ الرجال يطلبونك في كلّ مكان ، إلاّ في ذاك الطريق .

- أتُطلق سَراحي وقد قتلتُ ابنك ؟

- أتريدني أن أنقض العهدَ الذي أخذتهُ على نفسي ؟ عُد إلى أرضك في وادي السرحان . فلست آمَنُ عليك شرَّ أهل الثار من قبيلتي ما دمتَ في حيّنا .... إذهبْ ، غفرَ الله لك !

المَوتُ أحَبُّ إليَّ !

في يوم ربيعيّ صفَتْ سماؤه ، واكتست أرضُ البادية ببِساط من العُشب ، كان فارسٌ من فرسان العرب يَقطع وادي « الرّقَّة » ، راجعاً من « مكّة » في « الحجاز » إلى دِيار « نَجْد » حيث استقرّ أبناءُ قبيلته : قبيلة « غَطَفان » العدنانيّة .

كان الفارس متلثّماً ، لا يبدو من وجهه إلاّ عيناه . يسير منفرداً ، لا يساوُره خوفٌ ، لأنّه مدَّججٌ بالسلاح من رأسه الى قدَميه ، مستعدٌّ لمُصادمةِ مَن يحاول الاعتداءَ عليه ، ولنجدةِ من يحتاج إليه .

وفيما هو يترك الوادي ليتَّجهَ شمالاً نحو الجبال ،

سمع صياحاً يخرجُ من حيٍّ منفرد ، قد انتشرت مَضارِبُه وخيامُه في الأرض المنبسطةِ المحاذيةِ لطريقه. كان هذا الحيُّ لجماعة من الأعراب غاب عنهم الرجالُ طلباً للمراعي . فانتهزَ الفرصةَ نَفَرٌ من المجرمين الفُتّاك المتشرّدين ، وأغاروا على الحيّ طمعاً في نَهْب الأمتعة ، وأسْرِ النّساء .

إتّجه الفارسُ إلى مكان المعركة ، فرآه خالياً إلاّ من النساء والأولاد . وقد علا صراخُ هؤلاء ، في حينَ تقدّمتْهم فتاةٌ في مقتَبل العمرِ ، في يدها رُمحٌ تضربُ به يميناً ويساراً ، محاولةً صدَّ المعتدين ، أو إرهابَهم .

صاح الفارس بالغُزاة :

ـ مكانَكمْ ! لا تَمَسُّوا أهلَ الحيّ بسُوء ! وإلاّ فجزاؤكم عندي !

ثم كشف اللِّثامَ عن وجهه ، فعرفوه . وتهامس الغزاةُ :

ـ «عروة» ! «عروة بن الوَرْد» ! حامي المتشرّدين أمثالنا !

وقال زعيمهم :

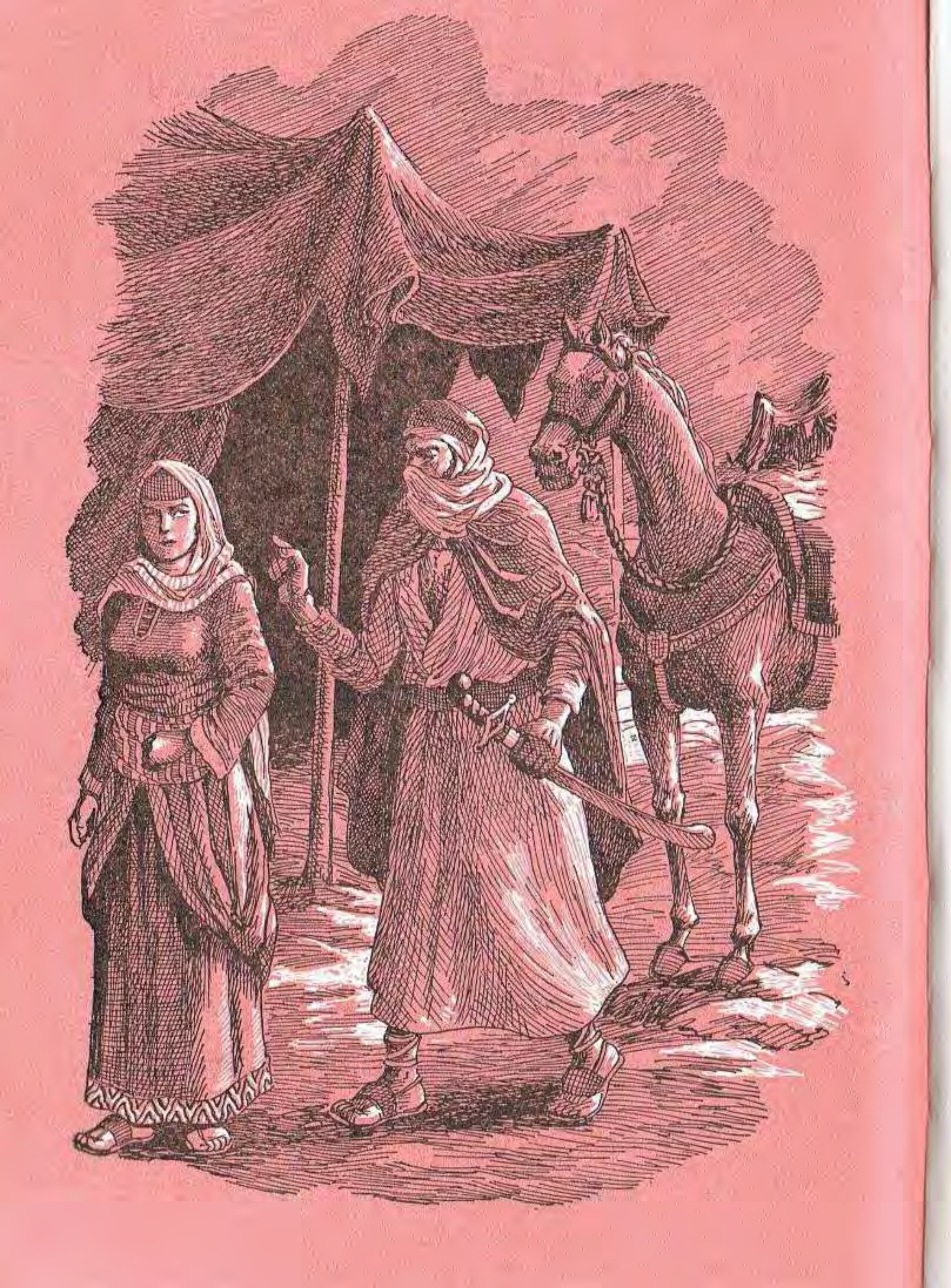
ـ تراجعُوا ، ولنُطِعْ أمرَ «عروة» . فهو أبو الصعاليك المتشرّدين ، وليس لنا نصيرٌ سواه .

أطاع الرجال إشارة زعيمهم ، فاطلقوا النساء السّبايا وتخلّوا عن مُعظَم الأسلابِ التي أصابوها . وانسحبوا تاركين وراءهم «عروة» واقفاً كالحِصن المَنيع ، ويدُه على مِقبَض سيفه .

تجمهر حولَه أهلُ الحيّ ، ووضعوا أمامَه الهدايا أكداساً ، وكلُّهم ألسنةٌ تَنطِق بشُكره والثّناء عليه . لكنّ «عروة» أبعدهم بإشارةٍ ، ولاح في وجهه العُبوسُ بعد الإشراق ، فقال :

ـ أليس هذا منزل «النّضْر بن الحارس الكِنانيّ»؟

ـ بلى ! أجابت الفتاةُ التي بيدها الرمح . و«النَضر» أبي .



ـ أنتِ ابنته « سلمى » التي ذاع صيتُ حسْنِها وشجاعتها بين القبائل ؟ وقد خطبتُكِ من أبيكِ فردَّني ، زاعماً أنّي دونكم مقاماً ، لأنّي أحمي الصَّعاليك ، مدَّعياً أنّي مثلهم أحترفُ الفَتْك واللُّصوصيَّةَ !

ـ لئن أخطأ أبي ، قالت الفتاةُ ، فالصَّفْحُ من شِيَم الكِرام . وقد أسديتَ إلينا معروفاً لا يمكن أن ننساه .

ـ لقد ساقتني الأقدارُ إلى الحيّ الذي لقيتُ من أهله الظُّلْمَ والامتهانَ . وصار من حقّي الثأرُ والانتقام !

فاسودَّ وجهُ الفتاة وقالت :

ـ كيف يكون ذلك ؟

ـ سآخذك برغمك ورغم أبيك . فأنتِ سَبيَّتي وأسيرتي بحكم الغَلَبةِ التي أحرَزْتُها . وليس لأحد أن ينتزعك من يدي !

ـ أنقذتَنا من بليَّة لتُوقِعَنا في غيرها ! لعلَّ أبي

لم يخطىء حين نسبَك إلى الصَّعاليك !

لكنّ « عروة » لم يُعِرْ قولَها اهتماماً ، بل اختطف منها الرمحَ ، وجرَّدَ حسامَه قائلاً :

ـ سأضرِبُ عُنقَ مَن يُحاولُ إنقاذَكِ من يدي !

حاولت الفتاةُ الدفاعَ بلسانها لمّا حِيل بينها وبين السلاح ، فقالت :

ـ خذْ ما شئت من الأسلاب ، فهي حَلالٌ لك . ولكنْ لا يحقّ لك اختطافُ امرأةٍ بالقوّة .

ـ لي في أخذكِ غايةٌ مزدوجةٌ ، قال « عروة » . أُريد استردادَ كرامتي من أبيكِ الذي حقّرني حين رفض مُصاهَرتي . وأُريد أن تكوني أنتِ جزائي على ما صنعتُه إليكم من جميلٍ .

ولم ينتظر جوابَها ، بل قبض عليها بيدٍ من حديد ، وأردفها على جواده . فسار بهما الجوادُ يَنْهَبُ الأرضَ نهباً ، حتى بلغ ديارَ « عروة »

في أعالي « نجد » .

ولمّا أصبحت الفتاة في حوزَته أحبَّها ، وحرّرها ، وتزوّجها ، وولدَتْ له أولاداً . وعاشت عنده عزيزةً مكرَّمة ، يبذل لها العطاءَ ، ويُحاول استمالتها إليه علّها تحبُّه وتنسى أسرَه لها . وخُيِّل له أنّ المرأةَ استكانت ورضيَت ، وضربَت صفحاً عمّا مضى .

★

حدث يوماً أنّ « عروة » أراد الحجَّ الى الكعبة ، كعادة العرب الجاهليّين . فطلبت منه « سلمى » أن يصحبَها معه إلى الحجّ . فسألها :

ـ لماذا تريدين الحجّ ؟

ـ لأنّ أهلي يُقيمون قريباً من « مكة » على طريق الحجّ . وبي شوقٌ إلى زيارتهم والإقامةِ عندهم برهةً من الزمن .

وذهبت معه . ومرّت بقومها ، فمكثت عندهم

أيّاماً كانت فيها موضوعَ حفاوةٍ وتكريم . فسألتْهم لماذا تغافلُوا عن زيارتها ، وأغضَوا عن العدوان الذي لحق بهم وبها ؟

فقالت الأمُّ :

ـ لأنّ الرَّجُلَ أحسن إلينا رغم إساءتنا إليه . ولأنّنا وجدنا فيه زوجاً كريماً يُخلص لكِ ويحرص على إسعادكِ .

فثارت المرأةُ غضباً ، وصاحت :

ـ أهذا يرفع عنّي عارَ السَّبْي ، ويمحو شعوري بالغُربة والضَّعة ، بين قوم يحسبونني أَمة وجارية ، ولا يساوُونَني بأنفسهم ؟

ـ ولكنّه حرّركِ ، فصِرتِ عنده أعزَّ النساء !

فأجابت « سلمى » :

ـ أُلجرح يبرأ ، ولكنْ يبقى أثرُه . والداء يَخفى ، ولا يزول خطرُه . لقد أخفيتُ ألمي كالنار تحت الرّماد .

قال الأبُ :

ـ أُطلبي ما تشائين ، فيُستجاب طلبُكِ !

قالت المرأة :

ـ أُريد أن تفتدوني منه ، وأن تستعيدوني إليكم ، فيتزوَّجَني عن غير طريقِ السَّبْي !

فأذعنوا لرأيها . ودَعوا الزوجَ إلى وليمةٍ سقَوه فيها الشرابَ ، وأعادوا عليه حديثَ « سلمى » . فرضي مقابلَ فِديةٍ ، وأضاف :

ـ إذا رَجَعَت إليكم ، أوَدُّ أن تخيِّروها بين العودةِ إليَّ والبقاءِ عند أهلها .

قال هذا وهو واثقٌ بعودتها إليه ، لتُقيمَ مع أولادها ، وتلقى من « عروة » ما كان يوفّر لها من هَناءٍ وطِيبِ عيش .

وما لبث حتى برَّ بوعده ، فأعاد المرأةَ إلى قومها مقابلَ فِدْيَة . وجاءهم في اليوم التالي يقول :

ـ الآن أريد أن أتزوَّجها برِضاها ، لأنّها تتمتّع بكامل حرّيتها . وقد أصابني النَّدَمُ لأنّي ، في المرّة السابقة ، أرغمتُها على الزواج بي .

ولمّا سألوها : أترضى بالعودة إليه ؟ أجابت :

ـ والله إنّ الموت أحبُّ إليّ مِن الرجوع إلى مَن أذلّني وتزوّجني قَسْراً ! إنّ مَثَلي كمثل الحيّة التي قَطَع العدوُّ ذَنَبها ، ثم استغفرها واسترضاها . فهي ما فتئت تذكر تلك الضَّرْبَة .

وأصرّت على موقفها منه . ثم رضيت بأن تتزوّج واحداً من أقربائها . وعاد « عروة » إلى قومه خائباً !

المُنَجِّم « عُصفور »

إسمُه « عصفور » ، لأنّه شبيهٌ بالعصفور في خِفّته ورغبته في التنقّل والمَرَح . مهنتُه الحياكةُ ، لكنّها في رأيه مهنة مُضجِرة ، لأنّها تُجبره على الالتصاق بنَول الحياكة كالسَّجين ، والقيامِ بحركات لا تتغيّر . وهو لا يفتأ يلتمس الأعذار للخروج من سجنه ، والَجري وراء المُتَع التي تمنحه لذّةً وانبساطاً .

حين يُزهِر الوردُ أيّامَ الربيعِ يترك « عصفور » النَولَ وحيداً ، متعطّلاً ، ويسعى إلى الحدائقِ فيُلازمُها جالساً أو واقفاً . ويُطيلُ النَّظرَ حتى تتملّى عيناه روائعَ ألوانِها ، ويَنتشي أنفُه من

طِيب روائحها . فينطلق لسانُه في مـدح الوَرْد والتَّغنّي بجماله . ويظلُّ هـذا دأْبه حتى ينتهيَ موسِمُ الورد ، فيعود إلى عمله .

زوجته « رابحة » تشاركه المُتعةَ حينـاً ، وتلومُه أحياناً ، لأنّ مـا يُحصِّله من نقودٍ لا يكفي حاجاتِ البيت . تنصحه بالجِـدّ والتعقُّل والتفرُّغ لعمله ، فيقابلها ببَسَماتِ الاستخفاف ، ويسألها أن تدعَه وشانَه.

عاد يوماً الى البيت بعـد جَولة بين الحدائق ، ووجهُه يَطْفَح بِشراً ، فقال لزوجه :

ـ رأيت اليومَ منظراً عَجَباً ! كنتُ فـوق سطحِ أحدِ المنازل ، أُعاينُ حديقـة السلطان وهي تموجُ بورودهـا ، وتزهو بالوانها . وإذا بي أرى طائرَين من نوع الحَجَل الذي أُولِعَ السلطانُ بتربيته وتسمينه ، يتنازعان خاتَمـاً ذهبيًّا يَخطِف لَمَعانُه الأبصارَ . وما لبث أحـدُ

الطائرَين أنِ ابتلَعَ الخـاتمَ ، ولم يدرِ أحدٌ به سواي .

ـ هذا شيءٌ عجيب ، قالت « رابحة » .

ثم خطر لها خاطرٌ فقالت :

ـ بعد حين سيطلب السلطانُ خاتَمه فلا يجده ... وفي ظَنّي أنْ لا أحدَ سواك يعرف أين الخاتمُ !

ـ صحيح ، قال « عصفور » ، وربّما ...

ـ ربّما أعلن في المدينة أنّ خاتَمـه ضائع ، وأنّه يُعطي مَن يلقاه جائزة ثمينة !

ـ لاريبَ في هذا ! يا لَلْحظِّ السعيد !

أخذ « عصفور » يرقص من الفرح . وشاركتـه « رابحة » في الرقص . ولم يَطُلِ الوقتُ حتى حدث ما توقّعته المرأةُ . فسكّانُ القصر جميعاً أصبحوا منهمكين في التفتيش عن الخـاتم ، ولكنْ من غير جدوى . وراح المُنادي ينادي في الأسواق :

ـ مَن وَجَدَ خاتم السلطان فله مكافأةٌ عظيمة !

هيَّأت « رابحة » زوجَها للذَّهاب إلى القصر . جاءته بثيابِ مُنَجِّمٍ ، أي بعَباءة مزيَّنةٍ بالنجوم والأَقمار ، ومعها عِمامةٌ كبيرة وعصا طويلةٌ ، وقالت له :

ـ سوفَ تَزْعم للسلطان أنّك ساحرٌ ، أو منجِّمٌ تقرأ الغيبَ وَتكشف الأسرار .

ـ لماذا ؟

ـ لماذا ؟ إذا قلتَ له إنّك تعتلي سطوحَ المنازل لتتلصَّص على حديقته وتشاهدَ ما يجري فيها ، فسوف يغضب ، ويأمر بسجنك بدلاً من مكافأتك .

ـ ماذا تريدين أن أصنع ؟

ـ تطلبُ منه أن يدعوَ جميعَ سكّان القصر ، بمن فيهم اَلجواري والغِلمانُ والبَهائمُ والطيورُ ، ليمرّوا أمامك . وأنت تصنع بالعصا إشاراتٍ ، وتُتمتم بكلماتٍ . فإذا مرّت الحجلةُ التي ابتلعت الخاتمَ تُشير إليها .

ـ كلامُكِ صوابٌ ! لا شكَّ أنّك امرأةٌ ذكيّة ، وإنّي فخورٌ بك !

حمل « عصفور » عصا المنجّم ، ولبس العمامة والعباءة ، ومشى مَزهُوًّا بلباسه الغريب ومهنتِه الجديدة .

دخل القصرَ ، وأعلن للسلطان الغرضَ من حضوره ؛ ففرح به ، وعَرض أمامه مَواكبَ الجواري والغلمان والبهائم والطيور ، زَرافاتٍ ووُحداناً ، فسرَّه المنظرُ ، وزاده عُجباً وانتفاخاً . وسرعانَ ما اكتشفَ الحجلةَ السارقةَ ، فامر بذَبْحها . وكانت المفاجأة الكبرى والدهشة البالغة حين وجدوا الخاتم في حَوصَلتِها !

أُعجب السلطان ببراعة « عصفور » ، ونَفَحه بصُرَّةِ نقود ، مُعلناً أنّه أمهرُ منجّم في « بغداد » !

★

مر على هذا الحادثِ زمنٌ قصير ، كان فيـــه الزوجان يقطِـفان ثِمار النِّعمةِ التي هبطت عليهما من السماء ، ويَنعَـمان بالطُّمَـأْنينة والهَـناء ، وإذا برسولٍ من قِبَـلِ السلطان يدعو « عصفوراً » لمقابلته !

أحسَّ « عصفور » بشيء من الَخشية والقلق لهذه الدَّعوة ، وساوَرَتْـه الأفـكارُ المُزعجةُ . لكنَّ زوجه شجَّعته قائلة :

ـ إنَّ السلطان مُعجَـبٌ بك ، ولا يريد لك إلاَّ الخيرَ ، فاذهب إليه مطمَـئِـنّـًا ، مرتاحَ البال ، وستعود راضياً بإذن الله .

قابل السلطانُ « عصفوراً » بابتسامة عريضة ، ودعاه إلى الجلوس ، ثم قال :

ـ إنّي مُزمِعٌ على السير الى الحرب لمقاتلةِ أعدائي الذين يَكيدون لي ، ويستعدّون لاجتياح المملكـــةِ وتخريبِـها . وبمـا أنّك أعظـمُ منجِّـم في « بغداد » أردتُ أن أسألك رأيَك في الحرب التي سأخوضها :

أيكونُ نصيبي فيها النصرُ ، أم لا ؟...

خُيِّـل « لعصفور » أنَّ سقفَ الدار هوى فوق رأسه !.. فترنَّـح ، وكاد يسقط أرضاً .

رأى السؤالَ ، لأوّل وَهْـلةٍ ، غريباً مُبْـهَـماً . ولمـّا اتَّضح له أنّ السلطان يريد منه التَّـنَـبُّـؤ بنتيجة الحرب ، أدرك هَوْلَ مَوقِـفه ، وفي سرِّه راح يلعن زوجتَـه التي جعلت منه منجِّـماً برُغْـمه ! ورفعَ قبضته ثائراً مهدِّداً ، وهو يصرخ بصوتٍ كالخُـوار :

ـ رابحة !.. رابحة !

وفيما هو في هذه الحالةِ من الهياج والاضطراب ، رأى السلطانَ ينهضُ ، ويُصفِّـق بيديه طرباً ، ثم يُطلِـق ضحكةً عالية شبيهة بقَـرقعـــة السلاح ! ثم وضع السلطانُ في يَدَي « عصفور » صُرّة نقـــودٍ أكبرَ من السابقة ، وهو يَصيح :

ـ أحسنتَ ! أحسنت ! أنت أعظـمُ منجّـم في الدولة !

عاد « عصفور » إلى بيته راكضاً ، وهـو لا يصدِّقُ أنّه نجا من الوَرطة التي وقع فيها !

ألقى صرّة النقود في يدي زوجته وقال :

ـ فقدتُ نصف عمري في هذه المقابلة !

ثم أخبرها بما حدث ، فقالت :

ـ إسمي أنقذَك من الهلاك !

ـ كيف ؟

ـ لمّا صرخْتَ : « رابحة » ، ظنّ السلطانُ أنّك تُعطيه جواباً عن سؤاله ، وأنّ حملته الحربيّة ستكون « رابحةً » غيرَ خاسرة !.. أفهمتَ ؟

ـ صحيحٌ !.. يا لكِ من ذكيّة !

ـ فلننتظرْ ما يكون !..

في اليوم التالي جهّز السلطانُ الحملةَ ، وقاد جيشه إلى الحرب . وبعد أيّامٍ قلائلَ وصلت إلى « بغداد » أخبارُ انتصاره وهزيمةِ أعدائه واندحارِهم . وبذلك تمّت نبوءة « عصفور » : « رابحة ! رابحة » ،

وجعلته هذه الصرخةُ منجّماً بغير عِلمه !

★

عاد الاطمئنانُ يخيّم على بيت « عصفور » و « رابحة » . فنعِما بفترةِ هدوء واطمئنان ، وحَسِبا أنّ مشاكل السلطان انتهت بانتهاء الحرب . لكنّها ، على ما يظهر ، لم تنتهِ ، لأنّ السلطانَ ما لبث حتى أرسلَ مَن يستقدم « عصفوراً » لأمر خطير .

حاول « عصفور » ، هذه المرّةَ ، أن يتهرّبَ من الدعوة ، وأخذ يهيّىء في رأسه الأعذارَ ، زاعماً أنّه مريض مُشرِفٌ على الموت . لكنّ زوجته نصحته بالذّهاب خوفاً من غضب الملك ، وهدّأت رَوْعَه بكلامها ، فذهب .

كان السلطانُ ، كعادته ، مُشرقَ الوجهِ ، منبسِطَ الصّدر ، مرتفعَ الصوت ، فرَحّبَ بقدوم « عصفور » ، وقال له إنّه هو ـ أي السلطان ـ وسائر سكّان المملكة ، ينتظرون حدَثاً سعيداً : فالسلطانة ستضع طِفلها البِكْرَ في وقت قريب ، والسلطانُ

يريد أن يعرفَ : أذكَراً يكون الطِّفْــلُ ، أم أنثى ؟ . .

لبث « عصفور » هذه المرّةَ صامتاً ، شاخِصَ البَصَر ، يُحــدِّق إلى الفَراغ ، كأنّه يَستطلعُ الغَيبَ ، ويسال الأقدارَ فلا يَلقى جواباً . وفجأةً أخذَتْه رِعْدَةٌ ، وبدأ يرتجف كمَن أصابته الحُمَّى . وصعد الدمُ إلى رأسه ، فاربدَّ وجهُه ، واصطكَّت أسنانُه ، وجحظت عيناه .

كلُّ هذا ، والسلطانُ ورجالُه ينظرون إليــه مبهوتِين ، وقد حسبوا ذلك من فِعل السِّحر . وإذا به يُغمغم ويَنطِق كلاماً شبيهاً بالهَذَيان مردِّداً :

ــ صبيٌّ ، بنت ... صبيّ ، بنت ... بنت ، صبيّ ... بنت ، صبيّ ...

وظلّ يكرِّر اللفظتَين ، كأنّما أصابه الجنونُ . تحيَّر السلطانُ ، وفارَقه انبساطُه . ورفع حاجبَيه مستفسراً ، متسائلاً : ماذا يعني هذا ؟

لكنّ كبير وزرائه اقترب منه ، وقال :

ــ يظهر أنّ صاحبة الجلالة تنتظر توأمين!

فانفرجت أساريرُ السلطان ، وسُرِّي عنه . وراح يقهقه طرباً ، وقــد أخذته نشوةُ السرور . فربَّت ظَهرَ « عصفور » ، زاعماً أنّه أعزُّ إنسان إليه ، وأنّه أكبرُ منجِّم في الدنيا ! وبعد أن أعطاه مكافأةً عظيمةَ القَدْر ، صرفه من حضرته .

رَجع « عصفور » إلى بيتــه وهو في أشدِّ حالات الانفعال . ولَزِمَ فِراشه أيّامــاً ، وهو عاجزٌ عن النهوض ، يئنّ من الألم والوَهَنِ والإعياء . ولمّا تعافى ، عزم على مغادرة « بغداد » خِفيةً ، هــو وزوجته ، لأنّه خاف من دعــوةٍ أخرى ، وسؤالٍ جديد مُحرِجٍ لا يخدمه فيه الحظُّ ، فيسقط فريسةَ الخوف والهَلَع ، ويخسر حياتَه مرّةً واحدة !

جمع ما لديه من نقود جاد بها عليه السلطانُ . وحمل نَولَه وأمتعتَه ، وتهيّأ للرحيــل إلى بلدٍ لا يُضطرّ فيه إلى ادّعاء التنجيم !

وقبلَ رحيلِه بيوم واحد ، ولَدت زوجةُ السلطان

توأمـين : ذَكَراً وأنثى ! فصحَّ تفسيرُ الوزير لهذَيان « عصفور » واضطرابِ لسانه !

*

لكنّ صاحبنا ، رغم نجاحِه الظاهر في فنّ التنجيم ، ورغم مُوالاة الصِّدَفِ له ، تاب من هذا الفنّ توبةً نَصُوحاً ، ونفَّذَ عزْمَه في الرحيل عن « بغداد » .

وعاد يَقسم وقتَه بين صُحبة النَّول حِيناً ، وصُحبةِ الوَرْد أحياناً !

الوَفاءُ النَبيل

قصرُ « النعمان بن المُنْذِر » ، الذي مَلَكَ على « الحيرة » ، في « العراق » ، في القرن السادسِ للميلاد ، ساكنٌ سكونَ القبرِ ، تلفُّه الوَحْشَةُ والسَّواد .

ألملكُ متَّشِحٌ بالسَّواد ، ومُعتكِف في جانبٍ من جوانبِ القصر ، حولَه رجالُ حاشيتِهِ وقد لبِسوا ، مثلَه ، مَلابِسَ الحِداد ، وجلسوا صامتين .

ألحجّابُ والحرّاس واقفون كالأصنامِ ، يسيطرُ عليهم الخوفُ من أن يَطرُقَ بابَ « النعمان » في هذا اليوم إنسانٌ ساقه القَدَرُ الى موته . لأنّ الملِكَ ، منذُ قَتَلَ صديقَيه اللّذَين كانا أعزَّ النـاسِ

لديه ، في ساعةٍ مشؤومة أعماه فيها السُّكْرُ وأفقدَه رُشْده ، من ذلك الحين عاهَدَ نفسَه بأن يندبَها مدى الدّهرِ ، وقضى بأن يَقسِمَ أيّامَه مُناصفةً بين البؤس والنّعيمِ : ففي يومِ البؤس يَرفَعُ شاراتِ الحِداد ، ويبكي صديقيه ، ويأمر بقتل مَن جاءه زائراً أو طالبَ حاجةٍ ؛ وفي يوم النعيم يستعيدُ سرورَه وبِشْره ، فيرتدي لباسَه الملكيَّ ، ويستقبل أصحابَه وزائريه ، فيبالغ في إكرامهم ، ويُجزِلُ لهم العطاءَ . لذلك تحاشى الناسُ الدخولَ عليه في يوم البؤس الذي صار عندَه قانوناً يَحرِص على تنفيذه ، لأنّ أمرَه لا يُرَدُّ .

حدَثَ أنّ رجلاً من « بني طي » ، يُدعى « حنظلة » ، وقف بباب القصر في صباح هذا اليومِ من أيّام البؤس ، وأصرَّ على مقابلة الملك .

كان هذا الرجلُ بدويّاً يُقيم في إحدى بَوادي « العراق » ، قطع مسافةً طويلة للوصول الى «الحيرة» .

ولمّا بلغَ قصر « النعمان » نَزَلَ عن ناقته ، وقد بانَ عليه الوَهَنُ والتّعبُ ، فطلب الدخولَ ، وهو لا يَدري شيئاً من أمر الملك ، ولا من العَهدِ الذي قطعه على نفسه .

نظر إليه الحاجبُ نظرةَ إشفاقٍ لم يُعرها البدويُّ أيَّ انتباه ، لأنّه كان واثقاً بنفسه ، موقِناً بأنّ « النعمان » سيرحِّبُ به ويلبّي حاجتَه .

لكنّه لمّا وقف أمام الملكِ ، ورأى رجال حاشيته قد جلسوا حوله صامتِين ، ملتحِفين مثلَه بالسَّواد ، أخذتْه الخَشْيَةُ والحَيرة . وزاد اضطرابُه حين ألقى عليه الملِكُ نظرةً جامدة وساله عن حاجته .

إستجمعَ الطائيُّ قواه ليُجيبَ . ورنّ صوتُه عالياً يخترق حِجاب الصمت ، فقال :

ـ ألا تعرفُني أيُّها الملِكُ ؟ أنا البدويُّ الذي نزَلتَ عنده ضَيفاً يوم ضَلَلتَ الطريقَ في

رِحلة صَيدٍ ، وأضعتَ أثرَ أصحابك في مَجاهـل البادية !

ـ أأنت « حنظلة الطائيّ » ؟

ـ نعم . لقد غيَّرَتْني الأيّامُ منذ لقيتَني . مرَّت بي سنواتُ قَحْطٍ وضِيقٍ رَمَتْني بسِهام الفقر والفاقة . فتذكَّرتُ وعدَك لي في المعونة ، وقصدتُك حين ألحَّت عليّ الحاجةُ ، وضاقت بي سُبُلُ الفرَج .

هزَّ الملكُ رأسَه مستنكِراً ، وغَشيَ وجهَه العُبوسُ . ثم قال :

ـ ما الذي جاء بك في هذا اليوم ؟ أما علِمتَ أنَّ مَن جاءني في يوم البؤس أمرتُ بقتله ؟

فارتجف « حنظلة » وتخاذَلَتْ قدَماه . لكنَّه سعى لإنقاذ موقفِه فأجاب :

ـ جئتُك من أرضٍ بعيدة لا تصِلُها أخبارُ المدينة . ولولا ثقتي بجُودك ووفائك لما تكلَّفتُ مَشقَّةَ السفر .

لم يَبدُ من الملك أيّةُ حركة تدلُّ على التأثُّر أو الاهتمام . وازداد الجوُّ انقباضاً حين تكلَّم الملك فقال :

ـ ليس في وُسْعي نقضُ العهد الذي قطعتُه على نفسي . لأنَّ الملك الذي لا يتمسَّكُ بقوله تسقط هيبتُه في أعين الناس ، وتتهاوى سُلطته ... لو جئتَني في غيرِ هذا اليومِ لبذلتُ لكَ المالَ والإكرامَ ، وفاءً بوعدي واعترافاً بفضلك عليّ . أمّا وقد جئتَني في يوم البؤس والحِدادِ فلا أرى بُدّاً من قتلك .

وَجَمَ « حنظلة » ، وعلا وجهَه الاصفرارُ . رفع عينيه الى الملك لعلَّه يلقى منه إشارةَ عَطْفٍ أو بادرةَ أملٍ ، فخاب رجاؤه . ومرَّت لَحَظاتُ انتظارٍ مُفعَمةٌ بالقَلَق والعذاب . ثم تكلَّم « حنظلة » ، فقال مخاطِباً الملِكَ :

ـ إنّي راضٍ بحكمك ، أيُّها الملك ، ولا أرغبُ في مُخالفتِه . لكنَّ لي عِيالاً تعتمدُ عليّ وتنتظرُ

رجوعي ، فاسمحْ لي أن أذهبَ إليهم ، فأسعى لتدبير أمورِهم وتأمينِ عَيشهم بعد موتي . وأعِدُكَ بأن أعودَ إليك قبلَ غروبِ الشمس لتنفِّذَ بي حُكمَك .

سكت « النعمان » برهةً ، ثم قال :

ـ لا أسمح لك بالذَّهاب ما لم ترشدني إلى شخصٍ يَكفُلك ، ويرضى بالموت مكانَك إذا تخلَّفتَ عن الحضور قبلَ الغياب.

أجال « حنظلة » نظرَه في الجالسين عن يمين الملك ويسارِه ، فوقع على رجلٍ تلوح في وجهه مَخايلُ النُّبْل والشَّهامة . هو « شريك بن عدي بن شرحبيل » ، كبيرُ نُدَماء « النعمان » ، فأشار إليه « حنظلة » مسترحِماً وقال :

ـ هذا يا مولاي ! هذا الرجلُ يكفُل رُجوعي إليك !

فصاح الملكُ مخاطباً نديمَه :

ـ أترضى بأن تكونَ له كفيلاً ؟

فتحرَّك الرجلُ ، وأجاب ، وهو رابطُ الجأش ،

مُنْبسِطُ المَلامِحِ :

ـ نعم أيُّها الملكُ ! لن أخيِّبَ إنساناً وضع بي ثقتَه من بينِ الحاضرين .

قال الملك :

ـ إذَنْ فَلْيَكُنْ !

★

كانت الشمسُ تنحدِرُ ببُطءٍ نحو المغيبِ وراءَ الكُثبان الرمليَّةِ البعيدة ، حين جلس الملكُ على مِنصَّةٍ أُعِدَّت له ، منتظراً قدومَ « حنظلة الطائيّ » لينفِّذ فيه حكمَه .

الجموعُ التي تدفَّقت إلى ساحة الإعدام كانت ، هي أيضاً ، تنتظر واجمةً ، وعيونُها على « شريك بن عدي » الذي وقف في جانبٍ من الساحة يتوقَّع الموتَ بين لحظةٍ وأخرى ، إذا تخلَّف « حنظلة » عن الحضور .

قريباً منه كان الجلاّد قد فرشَ البساطَ الذي يقف عليه المحكومُ بالإعدام ، والذي يسمُّونه

« النَّطع » . وأخرج السيف من غِمده ، ووقف ينتظر إشارةً من الملك ليُطيحَ رأسَ « شريك » .

واذا بغُبارٍ يرتفع من بعيدٍ فيحجُب الجوَّ . ولم تمرَّ ثوانٍ قليلةٌ حتى وصل الى الساحة فارسٌ يعدو بـه الجوادُ . فترَّجلَ مسرعاً ، ووقف أمام الملِك ، فاذا هو « حنظلة » !

قال « حنظلة » :

ـ أحمَدُ الله ، أيُّها الملك ، لأنّي تمكّنتُ من الوصول إليك قبل انقضاء النهار .

فلاحَ العَجَبُ في وجه « النعمان » ، وقال :

ـ سمحتُ لك بالذّهاب لأنّي أردتُ لك النجاةَ بنفسك ، فلا يُقال إنّي كفرتُ بنعمةِ مَن أحسنَ إليَّ . أمّا وقد شهِدتُ منك أعظمَ مثلٍ في الصّدقِ والوَفاء ، ومن « شريك » ، الذي ضمن رجوعَك ، أجملَ عبرةٍ في السّماحة والعَطاء ، فلن أكونَ أقلَّ منكما كَرماً ونُبْلاً . وقد عزمتُ أن أعفوَ عنكما وأُحسِنَ مكافاتكما .

ثم سأل الملكُ « حنظلة » :

ـ ما الذي حملَكَ على الوفاء بوعدك بعد أن انفتح لك بابُ الخلاص ؟

ـ حملني على الوفاء دينٌ يأمر بالصّدق ، ويَنهى عن الغَدر والظلم . وإنّي أنصحك ، أيُّها الملِك ، بترك عِبادةِ النار ، واعتناقِ هذا الدينِ الذي يُحلُّك من نَذرك الجائر ، ويَقضي على عهـدِ الطّغيان الذي ألزمتَ به نفسَك .

شعر الملكُ إذ ذاكَ بما يُشبه يقظةَ الرُّوحِ في باطنه ، وإشراقةَ الحقِّ في قلبه . فأدرك أنّه كان في سلوكه على ضَلال . وما لبث أن طلّق دينَ المجوسيّةِ ، وتاب عن غَيّه ، وتنصَّر هو وعائلتُه .

الجِلدُ الذَّهَبي

(أسطورة يونانيّة)

في بلاد « اليونان » ، الكثيرةِ الجُزُر والمياه ، التي لا تَبعُد كثيراً عن شواطىء « سوريا » و « لبنان » ، عاش قديماً فتىً اسمُه « ياسون » ، ظهرت عليه ، منذ الصِّغرِ ، علاماتُ النَّباهة ، فسلّمه أبوه إلى معلّمٍ حكيمٍ عارفٍ لجميع العلوم ، اسمُه « شِيرون ». فعلَّمه المصارَعة والصَّيدَ والرَّقص والموسيقى . وعلَّمه كذلك الفروسيَّة ، أي ركوبَ الخيل . فكانا يخرجان معاً إلى البريّة حيث تمتدّ حقولُ السُّمَيسمة ، وتلالُ الزَّعتر والعرعَر ، فيجمعان منها الأعشابَ النافعةَ التي تُداوى بها الأمراضُ .

حين صار « ياسون » شابًّا جميلاً ، طويلَ القامةِ ، قويَّ العَضَلات ، رغِبَ في القيام بعملٍ عظيم . وكان قد سمِعَ بالجلد الذهبيِّ ، جِلدِ الخَرُوفِ اللاَّمعِ كالشمس ، المعلَّقِ بشجرةٍ من شجراتِ غابةٍ كثيفةِ الشجر ، تقع في شِمالي بلاد « القوقاز » القريبة من « البحر الأسود » . وسمِعَ أيضاً أنّ تِنّيناً ، وهو حيّةٌ هائلةُ الحَجمِ ، مُخيفةُ المنظر ، تَحرُس الجلدَ ، فلا يَجسُرُ أحدٌ على الدُّنوِّ منه .

كان الناسُ يتهامسون بأنّ هذا الجلدَ يَحوي روح ملكٍ قديم من ملوك « اليونان » ، وأنّ مَن يَظفَرُ به يُصبح ملِكاً ! لكنّ « ياسون » رأى في ركوب الأهوالِ ، وتحدِّي الأخطار ، عملاً أشدَّ إغراءً وأعظمَ قيمةً من الحصول على تاج المُلك . لذلك صحّ عَزمُه على المخاطرة ، ولم يعبأ بأقاويلِ الناس ، ولا بتحذيراتهم .

إختار « ياسون » ، لمرافقته في الرِّحلة ، عدداً من رفقائه الأبطالِ الذين تتَلمذُوا للحكيم « شِيرون » .

فبنَوا سفينةً مستطيلة ذاتَ قُلوعٍ بيضاءَ ، خَرقوا جوانبَها لتتّسعَ لخمسين مِجْذافاً . ثُمّ طلَوها بالزِّفتِ الأسودِ ، ودهنوا مُقدَّمَها بالأحمر ، وأنزلوها إلى الساحل . ولكنْ ، لمّا حاولوا تحريكَها ، جمَدَت ولم تتحرّك ، لأنّ قعرَها غرِق في الرمال . فنظر الأبطالُ بعضُهم إلى البعض الآخَرِ خجِلين ، لكنّ « ياسون » تكلّم وقال :

ـ لنسألِ الغصنَ السِّحريَّ الذي قطعناه من السنديانة المقدَّسة ، فلعلّه يُرشِدُنا إلى ما يجب عَملُه .

وجاء صوتٌ من الغُصن يقول :

ـ ليَعزُف أورفيوس على قيثارتهِ ، فتمشي السفينة .

كان « أُورفيوس » ربَّ الغِناء ، ومخترِعَ القيثارةِ ، وقد سحَرَ الناسَ والوحوشَ بأنغامه . دعاه « ياسون » إلى مرافقة الأبطال في رِحلتهِم ، فقبِلَ الدَّعْوَة .

تناول « أورفيوس » قيثارته وبدأ أغنيتَه الساحرة :

« هنيئاً لمن يركبُ الأمواج قافزاً من موجةٍ إلى أخرى ، يَحدُوه غِناءُ الرّيح . هنيئاً لمن يَضرِبُ في البحر غازياً فيكتشف مُدناً جديدة ، وأرضاً عجيبة ، ويعود إلى وطنه حاملاً الكنُوزَ ، وأكاليلَ المجد ، والصِّيتَ البعيد » .

سمعَتِ السفينةُ غناءَ « أورفيوس » ، فاشتاقت إلى ركوب البحر . تحرَّكت أضلاعُها ، وقفزت من الرمال إلى أخشاب الصَّنَوبر التي وضعها الأبطال لتمهيد طريقها إلى المياه . ولم تمضِ برهةٌ حتى اندفعت إلى الأمام ، مثل حصانٍ نشيط ، وزحفَت بخِفَّةٍ إلى عُرض البحر .

سارت السفينة بالأبطال قاطعةً البحارَ والمضايقَ ، حتى لاح لهم « البحر الأسود » المخيفُ الذي ترتفع أمواجُه كالجبال ، وتفرُشُ الرغوةَ البيضاءَ كالثّلج .

ولاحت لهم فوقَه الصُّخورُ الزرقاءُ المُشرفةُ

كرماح لامعة ، أو كقصورٍ من زجاج ، وتهُبُّ منها رياحٌ جليديّةٌ تُجمّد الأيدي وتَلذع الأبدان . فتوقّفوا حائرين ، لا يجدون وسيلةً لاختراقها . وإذا بهم يُبصرون طائراً عظيمَ الجَناحين ، يَمُرُّ بينها من فَجْوةٍ كشفها بعينيه الحادّتين ، فتبعُوه ، وعَبَروا وراءَه إلى البحر الواسع .

مرُّوا بمدُنٍ تسكُنها قبائلُ متوحّشةٌ ، وشعوبٌ تحكمها نساءٌ بارعاتٌ في الحرب وركوب الخيل ، يقاتِلْنَ بالسيوف والرماح ، ويَغلِبن الرجالَ . واسْمُهُنَّ « الأمازُونات » .

أخيراً ، بعد مَسِيرةٍ طويلة ، بلغَتْ بهم السفينةُ شواطئَ « بلاد الحدّادين » الذين يصنعون أسلحةَ « مارس » إلهِ الحرْب . وتطلّعوا نحو الشرق ، فلاحت لهم قِمَمُ جبال « القوقاز » البيضاء . فواصلوا التجذيفَ حتى بلغوا النهرَ الذي يَصبُّ في « البحر الأسود » ، وترتفع بجانبه سطوحُ قصر الملك « آيتيس » ، الذي يحكم البلادَ ، ويسيطر على الغابات التي عُلّق

في إحداها الجلدُ الذهبيُّ .

صاح قائدُ المركب :

ـ ها قد بلَغْنا الهدَف ! ها هي سطوح قصر «آيتيس» ، والغاباتُ التي تنمو فيها السُّمومُ ! ولكنْ ، مَن يدُلُّنا على الغابة التي فيها الجلدُ الذهبيّ ؟

ـ هيَّا إلى القصر ! قال « ياسون » . سأذهب وحدي لمقابلة «آيتيس» ، ولو كان ابنَ الشمس ! وسأحاول اجتذابَه بكلامٍ لطِيف ، ليدلَّني على الغابة التي تَقصِدها .

حدثَ في هذا النهارِ بعينه أنّ الملكَ « آيتيس » خرج في عَربتِه الذهبيّةِ قاصداً النهرَ للنُّزهة ، وجلسَت معه في العربَة بنتهُ الساحرةُ « ميديا » . فرأى سفينةَ الأبطال وهي تزَحف نحو الشَّطِّ ، وفي داخلها شُبّانٌ كالآلهة ، عليهم أسلحةٌ تتوهّج في نور الشّمس .

لمّا خرج الأبطالُ من السفينة ، اقتربَ « ياسون »

من الملِك ، وحدّثه عن المُهِمّةِ التي جاء من أجلها هُوَ ورفقاؤه .

ضَحك الملك وقال :

ـ أحقًّا تأملون الفوزَ بالجلد الذهبيّ ، وأنتم قِلّةٌ لا يجاوز عددُها الخمسين ؟ إذا حاربتم رجالي فستُقتَلون جميعاً ، ولا يبقى منكم أحدٌ . لكنّني أُشير عليكم بأن تختاروا واحداً منكم يخاطر بنفسه للوصول الى الجلد الذهبيّ ، وعسى أن يحالفَه التوفيقُ !

في المساء اجتمع الرفقاء للتّداوُل في مُشكِلتهم . عَرَفوا أنّ لدى الملك أُلوفاً من المحاربين ، فمنَ الغباوة أن يتصدَّوا لقتالهم . وطَمْأنَهم « ياسونُ » بقَولهِ إنّه مستعدٌّ لتنفيذ رأي الملِك ، والذّهابِ وحدَهُ لاصطياد الجلدِ الذهبيّ . وفيما هم مجتمعون ، جاءهم رسولٌ من « ميديا » الساحرة ، بنتِ الملكِ ، يدعو البطلَ « ياسون » إلى مقابلتها .

كانت « ميديا » في عربَة أبيها حين رأتِ الأبطال

اليونانيِّين يخرجون من سفينتهم ويتقدَّمون نحـو الملك. فأُعجِبَت بمظهرِهم النبيلِ، وبدلائلِ القوَّة والشجاعة في مِشيَتِهِم ونَظراتِهم. وأشفقَت عليهم من الهـلاك الذي أعدَّه والدُها لمن يقتحم أرضه، ويَسطُو على غاباتهِ. ومال قلبُها إلى «ياسون»، فأرادت تحذيره من الخطر الذي ينتظره إذا حاول اكتشاف الجلد الذهبيّ.

ـ أتعلم أيّ أهوالٍ تنتظر طالِبَ هـذا الجلد؟ قالت الفتاةُ. عليه أن يروِّضَ الثورَين النُّحاسيَّي الأرجل، اللَّذَين تنبعث النارُ من مِنْخَرَيهما. فإذا أخضعَهما يجب أن يفلَحَ بهما أربعةَ فَدادينَ من الأرض قبلَ هبوط الظـلام. ثم يزرعَ في الأرض أنيابَ حيّاتٍ يخرجُ منها رجالٌ مسلَّحون يقاتلونه. فإذا غلبهم يسعى لاكتشاف الجلد الذهبيّ. ولكنّ عليه، قبل ذلك، أن ينجوَ من التنّين الذي يَحرسُه!

لم تنجح «ميديا» في تحويل «ياسون» عن عزمه، لأنّه كان مصمِّماً على اقتحام الخطر مهما يكن عظيماً.

فعزَمَتْ على مساعدته بسِحرها، وقالت:

ـ لن يقدرَ أحدٌ على الوصول إلى الجلد من غير مساعدتي. وبما أنّي لا أُريدك أن تموتَ، سأبذل كلَّ ما في وسعي لإرشادك وإنقاذك. خُذْ هـذا المرهمَ المسحورَ وادهنْ به جسمَك، فتُصبحَ قوّتُك نظيرَ قوّةِ سبعة رجال. إدْهنْ به تُرسك فلا يُتلفه سيفٌ ولا نار. لكنّ مفعولَه لا يجـاوز اليوم الواحد، فعليك أن تُنهيَ جميعَ أعمالك قبل غروب الشمس. إدهن خُوذتك أيضاً قبل أن تزرع أسنان الحيّة، فإذا برز لك الأبطالُ المسلَّحون إرمِ خوذتك بين صفوفِهم فيهلكوا جميعاً.

★

حِين جاءَ اليومُ المعيَّن للقتـال، جلس الملك «آيتيس» على عرشه الذهبيّ، وأمر بفتح الأبواب، فخرج منها ثوران هائلان يقرعان الأرضَ بحوافرهما الناريّة، ومناخيرُهما تَقذِف اللَّهبَ. هجما على «ياسون»، فامسك بقرونهما، وشدّهما إلى النِّير،

ورَبطهما بسِكّة الفِلاحة ، ثم دفعهما برمحه إلى الأمام ، فمشيا قُدّامَه طائعَين ، وأخذا يفلحان الحقل المقدّس . وما جاء الظُّهر حتى أتمّا فِلاحة الحقل كلّه .

غضب الملك لنجاح « ياسون » ، ورمى إليه بأنياب الحيّات التي كانت سجينةً في قصره . فتناول الأنيابَ وزرَعها حوله ، وإذا بالأرض تنتفِخُ وتفُور ، ويخرجُ منها رجالٌ مسلّحون ، هجموا على « ياسون » بسيوفِهم ، فرمى فوقهم خُوذَتَه النحاسيّة . وللحال أصابهم مِثلُ الجنون ، وراحوا يتقاتلون حتى سقطوا جميعُهم قتلى ، واحداً بعد آخرَ ! ثم انشقّت الأرض وابتلعت جُثثَهم ، وفي لحظةٍ نبَت العشبُ فوقَهم كما كان قبلاً ، وانتهت مُهمّة « ياسون » .

حينئذٍ نهض الأبطالُ وصاحوا صَيحةَ ابتهاجٍ ردّدَتها الأوديةُ ، وارتجّت لها الجبالُ .

وعضّ « آيتيس » شفتَيه وهو يقول : « من هو هذا الفتى الذي لا يفعل فيه سِحرٌ ؟ أتُراه يقوى

أيضاً على قتالِ التِّنِّين؟ »

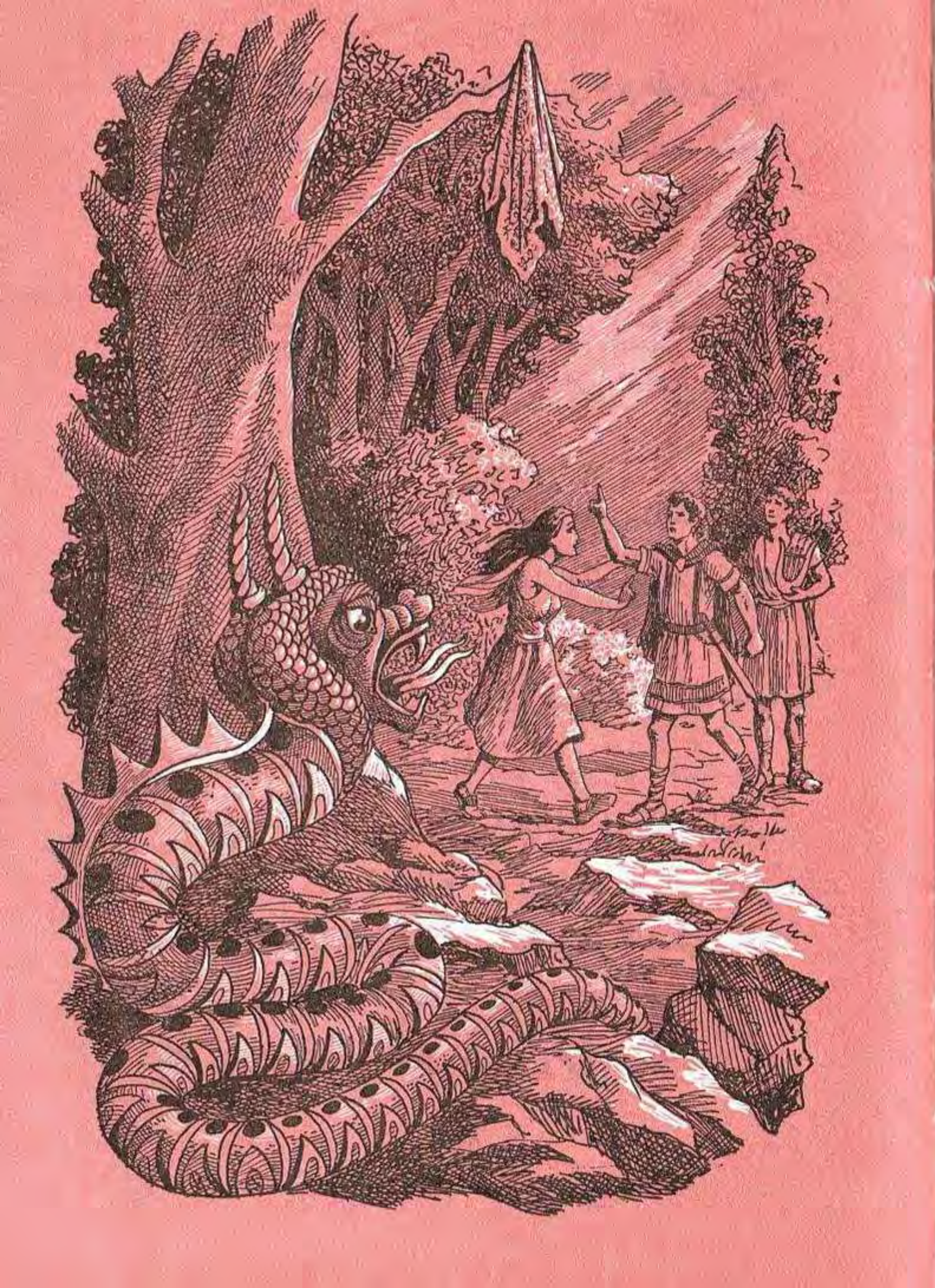
ثم جمع الملك رجالَه ، وتشاور معهم حتى غابت الشمس . فأرسل منادياً ينادي : « ليرجع كلُّ إنسان إلى بيتِه الليلةَ . وغداً نرى ما يكون من أمر الأبطال والجلد الذهبيّ » .

إتّضح للأبطال أنّ « آيتيس » يريد أن يَغدُرَ بهم ، وأنّ جهود « ياسون » ذهبت عبثاً . فاتّجهوا نحو سفينتِهم ، وهم يُدمدِمون مثلَ أسود فقدت فَريستها .

لكنْ لم تمضِ برهةٌ حتى جاءت « ميديا » باكيةً مُعْوِلةً ، وقالت :

ـ لقد حان أجلي ، فيجب أن أموت !.. عرَف أبي بمساعدتي لكم ، ولو استطاع لقتَلكم ، لكنّه لن يفعلَ لأنّكم ضيوفه . فاذهبوا ، وتذكّروا « ميديا » المسكينة ...

فصرخ الأبطالُ بصوت واحد :



ـ إذا مُتّ يجب أن نموت معك ! لأنّنا بدونك لا نقدر على الوصول إلى الجلد الذهبيّ ، وبدونه لن نعود إلى بلادنا !

وقال « ياسون » :

ـ لماذا تموتين ؟ أهربي معنا في السفينة . ولكنْ ، قبل هذا ، أرشدينا إلى الجلد الذهبيّ ، ثم تعالَي معنا فنجعلَكِ ملكةَ شعبنا وبلادنا .

بكت « ميديا » ، وخبّأت وجهها بيديها ، إذ عزَّ عليها فراقُ إخوتِها وأترابها ، والبيتِ الذي وُلِدَت فيه . لكنّها رفعت رأسها أخيراً وقالت :

ـ لا بُدّ لي من الهرب !.. هذا نصيبي . هيّا اصعدوا بسفينتكم إلى جانب الغابة ، واربطوها عند الشطّ . وعند منتصفِ الليل ، ليأتِ « ياسون » مع « أورفيوس » فيلاقياني عند السُّور .

عند منتصَف الليل، صعد « ياسون » و «أورفيوس» إلى جانب النهر ، حيث لقيا « ميديا » ، ومعها أخوها الأصغرُ يقودُ حَمَلاً ابنَ سنةٍ . فمشت وإيّاهم إلى حرجٍ كثيف ، وأمرت « ياسون » بأن يَحفِر حفرةً ، ويذبحَ الحَمَل ويتركَه في مكانه . ثم نثرت فوقَه أعشاباً سِحريّةً ، وصبّت عَسَلاً من قُرصٍ كان في يدها .

حينئذٍ خرج من الأرض شُعلةُ نارٍ ، تلاها ظهورُ الصيّادة الوحشيّة ومعها كلابُها الهائجةُ وهي تعوي وتدور . وقفزت الصيّادة هي وكلابُها إلى الحفرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم توغّلوا في الأحراج واختفَوا عنِ الأنظار .

وفي الحال انفتحت أمام « ميديا » ورفقائها أبوابُ الغابة المسحورة ، فدخلوها . ولاح لهم الجلدُ الذهبيّ معلّقاً بإحدى الشجرات ، يسطع نورُه كالشمس فيُنير طريقهم .

هجَم « ياسون » على الجلد وهمّ بالقبضِ عليه .

لكنّ « ميديا » أشارت بخوفٍ الى التنّين الممدّد تحته ، مرقّشَ الجلد ، ملتهبَ العينين ، شبيهاً بجِذع نَخلةٍ عِملاقة .

حين رأى التّنينُ القادِمين أخرج لسانَه الطويلَ المشقوق ، وزعَقَ زعقةً اضطربت لها الأشجارُ ، واهتزّتِ الصخورُ .

لكنّ « ميديا » كلّمته برِفق ، فمدّ نحوَها عنقَه ولحس يدها. فأشارت الساحرةُ إلى «أورفيوس» بأن يشرع في الغناء .

غنّى « أورفيوس » فعاد الهدوءُ الى الغابة ، وسكنت الأوراقُ بعد ارتعاشها . وخفض التّنّين رأسه واسترخى ، ثم أغمض عينيه ونام .

وقفز « ياسون » بخِفّة فوق تلك الحيّة الهائلة ، فسَلخ الجلدَ الذهبيّ عن الشجرة ، وهرع هو ورفقاؤه راكضين إلى جانب النهر حيث كانت

السفينةُ تنتظرهم . فركعوا تحت جُنــح الظلام ، وساروا برِفقة « ميديا » وسائر الأبطـــال عائدين إلى بلاد « اليونان » ، يُطربهم غِناء « أورفيوس »، ويملأ قلوبَهم فرحُ النَّصْر .

أدهى مِنْ "مُعَاوِيَة"

(قصة في قالب حواريّ)

– ١ –

في مجلس « يزيد بن معاوية »

« يزيد بن معاوية » في مجلسه يُنشد أبياتــاً من الشِّعر ، فيدخل عليه « رفيف » ، أحــد أخصّاء « معاوية » ، ويُصغي إليه .

يزيد : (يتلو الأبيات)

إذا رُمتُ مِن « ليلى » على البُعدِ نَظرَةً
لتُطفِـي جَوًى بينَ الحشا والأضالعِ
تقول : رجالُ الحيِّ تَطمعُ أن ترى
« لليلى » وصالاً من قَريبِ المطامعِ

وكيفَ ترى « ليلى » بعينٍ ترى بها
سواها ، وما طهَّرْتَها بالمدامعِ ؟

أجلُّكِ يا « ليلى » عن العينِ ، إنّما
أراكِ بقلبٍ خاضعٍ لكِ ، خاشعِ

وما سِرُّ « ليلى » ، ما حَييتُ ، بذائعٍ
وما عهدُ « ليلى » ، إن تناءت ، بضائعِ

(إلى رفيف) : كيف ترى هذه الأبياتَ ؟

رفيف : جيّدة واللهِ !

يزيد : أتعرف صاحبَها ؟

رفيف : لا أعرفه .

يزيد : أنا صاحبُها .

رفيف : نطقتَ بجيِّد الشِّعرِ ، وما عهدتُك شاعراً . لكنّي أعلمُ أنَّ العشقَ كثيراً ما يفتِّقُ القرائحَ ويُحرِّكُ الأذهانَ . ولا إخالُك إلّا عاشقاً !

يزيد : هو ما تقول .

رفيف : ومَن تكون « ليلى » هذه التي يتردَّدُ ذكرُها في القصيدة ؟

يزيد : أيّةُ فائدةٍ لي من ذكر اسمِها ، ولا مَطمعَ لي في الزواج بها ؟

رفيف : في الذكر سَلْوَةٌ وتَعِلّةٌ . ألم تسمع قولَ الشاعر :

تداويتُ عن « ليلى » « بليلى » وذكرِها
كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ ؟

يزيد : أخاف أن يَشيعَ خبري وينتشرَ ، وأنا حريصٌ على الكتمان .

رفيف : من كَتَمَ عِشقَه أودى به الهَمُّ والقَلَقُ . ومن الأمثالِ السائرة : « من أخفى عِلّتَه قتلته » .

يزيد : ما أحفظَك للأقوال والأمثال !

رفيف : أردتُ أن تكشفَ همَّك لي لأنّي حريصٌ على مصلحتك ، راغبٌ في مساعدتك . هاتِ أخبِرْني

من هي الحسناءُ التي ملكتْ قلبك ؟ أما واللهِ ، لو أنّها خلف السّماوات السبع لأتيتُ بها إليك !

يزيد : إنّها في « العراق » ، لا في « الشام » .

رفيف : « العراق » مُجاورةٌ « للشام » .

يزيد : وهي زوجةُ غيري ، وليس لي إليها سبيلٌ .

رفيف : أذكر لِيَ اسمَها ، لعلّي أجدُ لمشكلتك حلاً .

يزيد : لو قلتُ لك إنّها أجملُ نساء العصر ، وأوفرُهنّ ذكاءً وأدباً ، أفي وُسعِك أن تعرِفَها ؟

رفيف : (بعد تفكير) أتُراها زوجةَ والي « العراق » ، « عبد الله بن سَلاّم » ؟

يزيد : هي بعينها !

رفيف : « أرينب بنت إسحق » التي سار ذكرُها في الآفاق ، وتيّمت ألوفَ العشّاق ؟

يزيد : وأنا أحدُ المُتيَّمين !

رفيف : إذا ساوَيتَهم في العِشق ، لم يُساووك في المَقام . فأنت ابنُ أمير المؤمنين ، وكلُّ

جميلةٍ تشتهي أن تكون لها زوجاً .

يزيد : لكنّ « عبد الله بن سلاّم » من أحسن الناس وجهاً ، وأرفعِهم ذِكراً وأدباً .

رفيف : إذا امتنع عليك الحبيبُ ، فإمّا أن يُذيبَك الحبُّ ، أو يُذيبه النّسيانُ . فهل تختار النسيانَ ؟

يزيد : لستُ قادراً عليه !

رفيف : إذن تريد الهلاكَ والموت !

يزيد : لا حِيلةَ لي في الأمر . ولا أرى إلاّ أنّي هالكٌ !

رفيف : لا بُدَّ من إيجاد حيلة . وفي يقيني أنّ والدك ، الذي أُوتي حِكمةَ « سليمان » ، سوف يجِدُ لعُقدتِك حلاً . فدَعني أتدبّر الأمرَ وإيّاه ، بإذن الله !

★

- ٢ -

في مجلس « الحسين بن عليّ »

« ألحسين بن علي » في مجلسه في « العراق » ومعه « عيسى بن رَجب » أحد أُخصّائه.

عيسى : لا حديثَ للناس اليومَ إلاّ حديثُ طلاق « عبدالله بن سلاّم » لزوجته « أرينب بنت إسحق » .

الحسين : أوَطلّقها « عبدُ الله » ؟

عيسى : نعم ، ومنذ أيّام .

الحسين : « أرينب بنت إسحق » أجمل نساء « العراق » وأوفرُهنّ حظّاً من الأدب والذكاء ، وزوجُها لا يقلُّ عنها ذكاءً وحُسناً .

عيسى : ما قلتَ إلاّ الصّوابَ .

الحسين : ما مشكلتُهما ؟ ومَن هو الذي أحدث الخلافَ

بين أحلى زوَجين في أرض « العراق » ؟

عيسى : قالوا إنّ « معاوية » رغب في أن يكون « عبد الله » زوجاً لابنته ، فارسل إليه مَن يُطلعه على هذه الرغبة .

الحسين : لماذا يرغب « معاوية » في تزويج ابنته برجل متزوّج ؟

عيسى : لا بدّ أن يكون له غَرَضٌ من وراء ذلك .

الحسين : وهل زُفّت « هند بنت معاوية » إلى « عبد الله » ؟

عيسى : حين علم « عبد الله » برغبةِ الخليفة أرسل مَن يَخطبها له من أبيها ، فقال أبوها : «تركتُ لها الشّورى والحرّية في الأمر ، فاسألوها» . وحين سألوها قالت : « أريد أن يُطلّق عبدالله زوجته أوّلاً ، لأنّ ابنة الخليفة لا ترضى بساكنة ضَرّة » . وحين طلّق «عبدالله» «أرينب» امتثالاً لرأي «هند» ، أبلغته « هند » أنّها لا ترضى به زوجاً لأنّها وَجدَته غير ملائم!

الحسين : مسكينٌ « عبدُ الله » ! يلوح لي أنّه ضحيّةُ مؤامرة خسيسة . ولا أدري لماذا أتاح « لمعاوية » وابنتِه أن يتلاعبا به ويُمليا عليه إرادتهما .

عيسى : لأنّ « معاوية » حاكمٌ مستبدٌّ ، إذا شاء أقالَه من مَنصِبه .

الحسين : لا رَيبَ أنّه ، حين اكتشف الحيلة ، نَدم على ما فعل .

عيسى : ما ينفعه النّدَم ، ومصيرُه في يد الخليفة ، يصرّفه كما يشاء ؟

الحسين : أليس له مَن يُعينه على أَمره ؟

عيسى : لعلّه يجدُ مُسعِفاً قادراً على مقارعة أمير المؤمنين ومقاومتِه .

الحسين : وماذا فعلت « أُرينب » ؟

عيسى : تنتظر ، هي أيضاً ، جَلاءَ الموقف ، وانكشافَ السِّتْر .

(يدخل «أبو الدرداء»، وهو واحدٌ من الصّحابة،

أي أصحاب النبيّ محمد (صلعم) الذين لقوه وآمنوا وماتوا على الإسلام) .

أبو الدرداء : السّلامُ على « الحسين » حفيد الرسول ، وسيّدِ شباب أهل الجنّة !

الحسين : أهلاً « بأبي الدرداءِ » ! لعلّك جئتَنا بأخبارٍ سارّة ؟

أبو الدرداء : كلّفني أميرُ المؤمنين أن أتوجّهَ إلى « العراق » لأخطُبَ لابنه « يزيد » « أُرينبَ بنت إسحق » ، مطلّقة « عبدالله بن سلام » . فرأيتُ أن لا أبدأ بشيء قبلَ السلام عليك ، لأنّك وليُّها ووليُّنا جميعاً .

الحسين : كنّا الآن في حديث « أُرينب بنت اسحق » التي ذاع صِيتُ جمالها وأدبها في هذه الديار ، وصار لها علينا حقُّ الرعاية وحُسنِ الجوار . وقد خطر لي ، منذ حين ، أن أُرسل إليها مَن يَخطبها لي ، فهل ترضى بأن تحمل إليها رسالتي ، وتخيّرَها بيني وبين « يزيد » ؟

فإنّي على مذهب الخليفة ورأيِه في جَعْل الزواج شورى ، وكما خُيِّرَت بنتُ «معاوية» في أمر زواجها ، كذلك أطلبُ تخييرَ « أُرينب » ، وإطلاقَ حرّيتها في ذلك .

أبو الدرداء : إنّي ذاهبٌ إليها في هذه الساعة ، وحاملٌ رسالتَين .

الحسين : وأريد أن أبذل لها من المَهر ما بذله « معاوية » عن ابنه « يزيد » .

أبو الدرداء : سَمعاً وطاعةً !

الحسين : ولا تُبطىء في العودة إليّ لتُعلمَني نتيجةَ مَسعاك .

أبو الدرداء : أمرُك يا مولاي !

★

- ٣ -

ايضاً في مجلس « يزيد »

« يزيد بن معاوية » في مجلسه ، وعليه عَلاماتُ الَهمّ والقلق . يدخل « رفيف » .

يزيد : ما وراءك يا « رفيف » ؟ لقد عِيلَ صبري في انتظارك . (رفيف يجلس صامتاً) صمتك لا يدلّ على الخير .

رفيف : لم يحالفنا التوفيقُ .

يزيد : لماذا ؟ وكيف ؟ هاتِ حدِّثني !

رفيف : شدّة أسفي عقدَت لساني .

يزيد : وعُقدة لسانك أثارت فضولي . لقد أمّلتني بالنجاح ، فوثقتُ بك ، ولم يخطر لي أنّك ستعود مُخفقاً .

رفيف : أبوك هو السببُ .

يزيد : كيف ذلك ؟

رفيف : نجح في حَمْل « عبد الله » على طلاق زوجته ، لكنّه اعتمد مبدأ الشّورى وحريّة الاختيار في زواج أُختك ، فسمح لها بأن تُبدي رأيها وتختارَ زوجها ، فرفضت « عبدالله » .

يزيد : هذا ما كنّا نرجوه ، لأنّ هدفنا « أُرينب » لا زوجها .

رفيف : لذلك ارتأى « الحسين بن علي »، الذي أقام نفسه وليّاً على « أرينب بنت اسحق » ، أن يعتمدَ مبدأ الشورى الذي اعتمده « معاوية » ، وأن يخيّرَ « أرينب » في أمر زواجها . وهي ، بدلاً من أن تختار « يزيد » زوجاً ، اختارت « الحسين » .

يزيد : وهل عُقد زواجه عليها ؟

رفيف : أجل .

يزيد : لعنة الله عليه !

رفيف : حارب والدَك بسلاحه ، وردَّ حيلتــه بحيلةٍ مثلها .

يزيد : لم أعلم أنّ في البلاد واحداً يتصدّى « لمعاوية »، أو يفوقه دهاءً وحيلة .

رفيف : لكنّ دهاءه لم يقف هنا . فقد أعاد « أرينب » إلى زوجها « عبدالله »، وصرّح بأنّه إنّما تزوّجها ليُعيدها إليه مصحوبــةً بالمَهر الذي أعطاها إيّاه، والذي لا يقلّ عن المهر الذي وعد به «معاوية» عن ابنه « يزيد » .

يزيد : أتحسَب هذا دهاءً ؟

رفيف : أقصد بالدهاء الِحذقَ وجُودةَ الرأي . لأنّ « الحسين » ، بعمله هـــذا ، كسَب قلوب الناس ، وضمنَ ولاءهم وإكبارهم ، كما إنّـه نال إعجاب النساء وشُكرَهُنّ ، لأنّـــه ، بعطفه على « أُرينب » ومَنحِـها حقّ الاختيار ، رفع من قدر النساء جميعاً .

يزيد : لكنّه أغضب الخليفة !

رفيف: وشرح صـــدور مُناوئي الأمويّين ، وهم ، كما تعلم ، كثيرون !

يزيد : والى كم يدوم إعجابُ الناس وولاؤهم وتأييدهم ؟

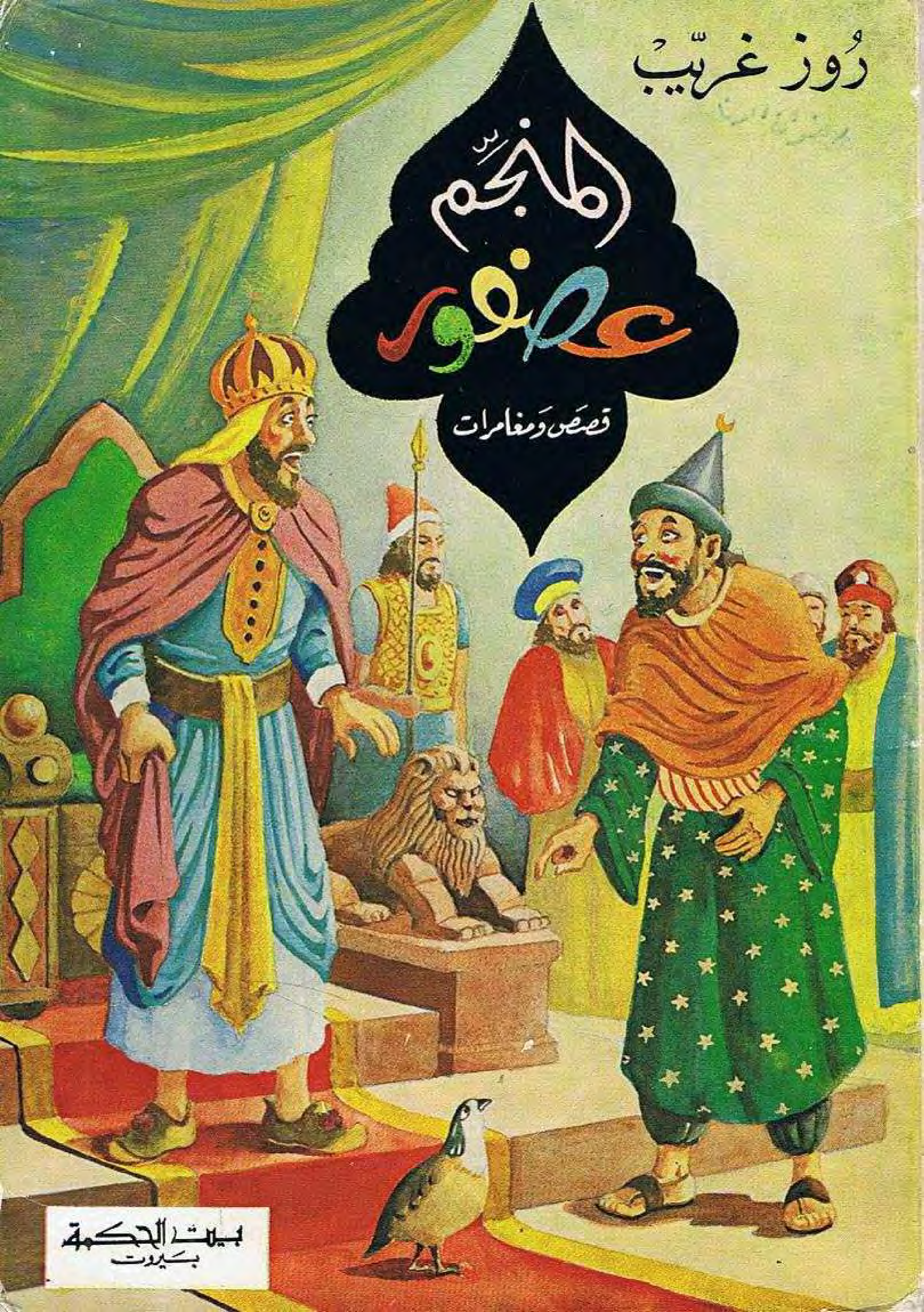
إنّ الناس لا يؤمَن جانبُهم ، لأنّهم لا يَثبتُون على عهد ، ولا يُؤخذون الاّ بالعنف والشدّة.

رفيف : قد تكون على صواب . لكنّ « الحسين » يحمل شارةَ النُّبوَّةِ ، ويرفع لواء الفضـــل والعدالة في الأرض . فإذا أنكرَته أجيالُ اليوم ، سوف تباركه الأجيـــالُ المقبلة ، ويُكتَب له الُخلودُ .

محتوى الكتاب

وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب في
يوم ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٥، على
مطابع دار غندور، ش.م.م. بيروت.

١٠٥/٤ - ١٩٧٥


رُوز غرّيّب
المنجِّم عصفور
قصص ومغامرات
بيت الحكمة
بيروت